الشباب و « روح العصر »

* * *

ليس « العصر » هنا بمعنى الجيل generation الذي يعرف مداه عادة بثلاثين عاما ، وليس ايضا بمعنى القرن الذي يبلغ مائة عام ، وانما هو الفترة التي تتميز بطابع رئيسي في الحضارة ، كالطابع العلمي او الذري او السرعة ، او مثل ذلك ، كما يعلم القارىء الكريم . وعلى هذا فقد يكون طول العصر الذي نعنيه خمسين عاما وقد يكون اقل او اكثر . ولا ريب ان سرعة التطور الحالية في العلوم والاجتماع اشد من سرعة التطور فيما خلا من العصور ، ولذلك تجيء فترة « العصر » التي نحددها هنا اكثر ايجازا واقل طولا .

وقد اصطلح بعض الكتاب من قبل على ان يكون « الشباب » فترة ما بين البلوغ وسن الاربعين ، وذلك على الرغم من التعريف اللغوي الذي يضـع الحد عند الثلاثين . ولست ادري مبلغ ما في هذا الاصطلاح من الصحة او الدقة ، لكننا لا نخطىء كثيرا في ضوء الواقع الحديث اذا رضينا به واتفقنا عليه .

وانت حين تتخطى الاربعين وتروح تنعم النظر فيما يسمى « روح العصر » في فترة كالفترة التي نجتاز اليوم ، وبخاصة حين التدقيق فيما تدور حوله افكار الشباب وتعتلج به نفوسهم ، تتمنى لو تظـل مشربا بهذه الروح او ملما بها حتى لا يتخطاك الزمن فتفكر بعقلية الماضي وتقصر عن اللحاق بما يمثل روح العصر ، او التعرف بما تقتضيه هذه الروح .

والذي يحفز الى تقصي هذه الناحية عندي هو الريب الشديد فيما اذا كانت روح العصر كما يتبدى بها عدد كبير من الشباب في اميركا واوروبا وجانب من الشرق — الذي هبت عليه هذه الروح — اقول فيما اذا كانت هذه الروح حقا هي روح الفترة الراهنة من القرن الحاضر .

فمما هو معلوم على كل حال ان الفترة التي نحياها الان تتميز بالتطور العلمي السريع خاصة ، ولا سيما في ابحاث الذرة والفضاء ، كما تتميز بثورة سياسية عالمية سريعة كذلك مليئة بالمفاجآت ، تسايرها تطورات اجتماعية شاملة لا شك في صحة اتجاهها في الغالب وملاءمة مراميها لصالح البشرية التي تكتب لها الحيـاة على وجه هذه الارض . غير اننا لا ننسى بالنسبة الى الشباب هذه « الثورة » الجنسية التي يكاد ينحصـر فيها عند الاصفر منهم تمثيل « روح العصر » .

وعند ذكر الثورة الجنسية لا بد من القول بان اجيال الشباب السابقة في مطلع هذا القرن ، والى حد اقل فيما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، كانت تمثل روحا من العصر اكثر جدية وانبل مرمى واحرص على فضيلة او قيمة من القيم الثابتة . وليس هذا القول من قبيل تقديس الماضي ، فاني في الحقيقة اتلمس هنا روح العصر في هذه التطورات الكبرى التي عددت . ان هذه « الثورة » الاخيرة التي القت بالمراهقين ومن جاورهم في احضان الجنس انما تمثل الذهول والشرود اللذين طبعا الشباب بالطابع الذي نتحدث عنه — الذهول عن الجد من الامر والشرود من المظاهر الاساسية للتطورات العلمية والسياسية والاجتماعية التي تتم على ايدي الرعيل الاسن من الشباب الحاضر . وهذا الرعيل في الغالب هو الذي تنعقـد على هامتـه « روح العصر » او يمثل بافكاره وجهوده هذه الروح . على ان شيئا لا ننساه في هذا الصدد ، وهو ان شباب العصر جميعا على الرغم مما اشرنا اليه هم في الحقيقة امضى ذكاء واغزر علما واوسع خبرة من شباب الاجيال السابقة ، كما يجب ان لا ننسى ايضا ان الحضارة ليست نتاج الشباب وحدهم .

« روح العصر » كما يمثلها الشباب الحاضر اذن ليست واضحة كل الوضوح ، فهي مزيـج من الجـد والهزيمة ومن القوة والخور ومن الادراك والذهول ومن الايمان والشك ... الخ . وليس من ريب عندي مع ذلك في ان هذا المزيج المربد من القيـم والخصائص سيصفو ، وان مخاوف العصر ستزول ، وان ما يلقـي بفئات كثيرة من الشباب في مطاوي الذهول والهرب والكفران ستختفي معظم عوامله ، فتخلص البشرية او تكاد الى وضع يجعلها اكثـر انسجاما مـع مقتضيات التطورات الايجابية التي لخصنا . ومن هـذا تنتهـي البشرية الى حال من الاستقرار والاطمئنان .

والذي يحملني على هذه النظرة على الرغم من الضباب الكثيف الذي صورت هو ما سلف من التطورات في تاريخ الارض ، جمادا وحياة وانسانا ، وما يقتضيه مذهب التطور المادي والعضوي كما عرفناه الى الان ، بل الى ما تشير اليه الاسس العميقة للنزعات الظاهرية من « روح العصر » الحاضر .

محمد اديب العامري — **عمـان**

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

***

كانت المرحلة الاولى في فهم معنى الوجود هي مرحلة التفريق بين معنى الوجود ومعنى الماهية ، بمعنى ان الماهية هي الاصل والوجود هي الفرع . فهي سبب التنوع في الاشياء عند ظهورها بالصور الوجودية ، ولكنها مختلفة عن الوجود . فالماء مثلا لا يحده شكل او مقدار ، ولكنه متى كان في وعاء ما ، فان شكله يصبح محدودا كما يصبح مقداره ، فالماهية كالماء في انطلاقه من القيود ، حتى اذا دخلت في الوجود اصبحت محدودة معينة بالصورة الوجودية . ثم انه لو لم يوجد شيء سوى الوجود لكانت الاشياء كلها من نوع واحد وعلى صورة واحدة غير محدودة . وهذا ما ينطبق على الذات الالهية ، فانه لا يوجد في هذه الذات سوى الوجود ، ولذلك كانت واحدة وغير محدودة .

والمرحلة الثانية في معنى الوجود عند علماء الكلام وفلاسفته هي ان الماهية والوجود شيء واحد في الذات الالهية ، وهما كذلك في الكينونة المطلقة . ولكنهما مفترقان في الكائنات غير المطلقة اي في الكائنات المحدودة .

والمرحلة الثالثة كانت على ايدي الفيلسوفين الالمانيين « كانت » و « هيكل » وكان من نتيجة البحث ان « كانت » وجد مطابقة بين الكائن والتفكير ، بمعنى ان الشيء هو شيء بحسب ما نحقه في الذهن . اما « هيكل » فقد عكس فكرة علماء الكلام وقال ان المطابقة بين الكائن والفكر تشمل جميع الكائنات ، فالشيء المحدود هو غير محدود ايضا في ماهيته وفي وجوده .

ولا فائدة الآن من الكلام عن المرحلتين الاولى والثانية ، بعد ان نسختهما المرحلة الثالثة ، او بعد ان نسخت الجميع الفكرة الوجودية الجديدة التي لا تهتم بالماهية كما تهتم بالوجود . وقبل الدخول في مرحلة الوجودية لا بد من شرح آراء « كانت » أولا ثم آراء « هيكل » بصورة بسيطة .

يعتقد الوجوديون ان وضع الانسان في هذا العالم وضع مشوب بالقلق والخوف والخشية . فالانسان لا يعرف كيف يكون مصيره فيه ولا مصيره بعده . ثم ان الانسان ، مهما بلغ من العلم . يظل جاهلا بالحقائق الباطنية في هذا الكون وليس في امكانه الوصول الى هذه الحقائق . فكأنه يعيش في حياة منعزلة عن الحقائق الاولى ، لا غاية لها ولا هدف ، سوى ان الانسان يعيش مدة على مسرح الدنيا ولا تلبث هذه المدة ان تنقضي . ولكن الانسان في هذه المدة المغمورة بالظلام الدامس يكون ضحية الخوف والخشية والقلق ، ويكون في حالة دائمة من الكبد او عذاب النفس . وهذا العذاب على انواع ، منها عذاب النفس الكينوني ، وعذاب النفس الخاص بالاوضاع الوجودية ، وعذاب النفس الخاص بالحرية .

والكبد او عذاب النفس الكينوني هو ما يعتري الانسان حينما يفكر في هذا العالم ويرى ان الوجود والعدم شيئان ممكنان في هذا العالم ، بل ان كل موجود فيه قد يصبح معدوما في اقل من لمح البصر . واذا فكرنا في هذا العالم بانه مخلوق من العدم او ان الكائنات قد تتحول الى رماد شعرنا بهذا العذاب . وقد اعرب كثيرون من شعراء العرب في الجاهلية والاسلام عن سرعة زوال الدنيا وعن سخافة التعلق بها ، وذكروا امثلة رائعة على فناء الممالك واندثار الدول وانهدام القصور . وهذا قس بن ساعدة مثلا يقول :

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

او خذ ما يقوله عدي بن زيد :

رب ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر بهم فانتقلوا وكذاك الدهر حال بعد حال

ومن ذلك ايضا قوله :

اين كسرى كسرى الملوك انو شروان ام اين قبله سابور
لم يهبه صرف الزمان فباد الملك عنه فبابه مهجور
وتفكر رب الخورنق اذ اشرف يوما وللهدى تفكير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

ويجدر بنا هنا أن نلفت الانتباه الى كلمة (الدهر) او (الدنيا) التي يستعملها العرب في شكواهم من (الزمان) ، والى معنى هذه الكلمات ، فان العرب في الجاهلية وفي الاسلام كانوا يتصورون (الدهر) او (الزمان) كأنه قوة غالبة تتحكم بمصائر الناس ، او كأنه شيء منعزل عن الكائنات المعروفة يؤثر تأثيراته بطريقة خفية باطنية ، وكانت الصورة التي كان يتصوره فيها العرب والمسلمون ايضا اقرب ما تكون الى الآلهة عند الاغريق القدماء او عند الشعوب البدائية . ومما لا شك فيه ان العرب كانوا يشعرون بالخشية والرهبة والاجلال عند ذكر الدهر او الزمان .

ومن اقرب الاقوال لاقوال العرب عن الدنيا والدهر وتقلب الاحوال قول الشاعر الايطالي ليوباردي يعبر فيه عن شعوره بعذاب النفس . فهو يقول :

« سيأتي زمان تنطفيء فيه وتفنى هذه الدنيا وهذه الطبيعة نفسها . وكما جرى تماما لافخم الممالك والامبراطوريات عند بني الانسان ، وللاشياء العجيبة التي

تم الوصول اليها في هذه الممالك والامبراطوريات ، وكانت في غاية من الشهر في زمانها ، ولم يبق منها اثر او ذكر في هذه الايام ، كذلك العالم بأسره والصروف والرزايا التي تعتور المخلوقات باجمعها لن يبقى منها أثر واحد ، سوى صمت مجرد وسكون بالغ العمق يمتلىء بهما هذا الفضاء الفسيح المديد .

وهكذا فان هذا السر الرائع الرهيب للوجود في هذا الكون سيطمس ويكون مآله الفقدان قبل ان ينطق به اللسان او يفهم » .

ولهذا الشعور بعذاب النفس تعليلات مختلفة ، ولكن الذي لا خلاف فيه ان سر الكينونة في هذا العالم غير مفهوم ولا يمكن فهمه ، فالانسان من ذلك في عذاب نفساني . وتكلم عن ذلك الفيلسوف البريطاني « هيوم » ومن تبعه من الآخذين برايه ، فقالوا ان الكينونة الاصلية او الحقيقة الاولى لا يمكن الوصول اليها ، وانما الذي نصل اليه هو امثلة او صور عن هذه الحقيقة . وثبت ذلك ايضا الفلاسفة العمليون في امريكا بزعامة «بيرس» و «جيمس»، وقالوا ان الحقيقة الاصلية لا يمكن ادراكها وفهمها ، ولا يمكن ان نعرف سبب وجودها ولا ماهيتها النهائية . ولذلك انصرف الفلاسفة العمليون في امريكا الى عدم البحث عن الحقائق الاولى وانما اكتفوا باعتبار الحقيقة بحسب الواقع ، وقالوا ان الحقيقة هي التي تثبت صلاحها من ناحية عملية ، وربط هؤلاء بين عدم مفهومية حقيقة العالم وبين عذاب النفس الوجودي . وانضوى الى هذه الفكرة الفلاسفة اليقينيون بقولهم ان مشكلات الحياة الباطنية لا يمكن الوصول اليها حتى ولو اجيب عن جميع اسئلة العلم .

وخلاصة الامر ان الكبد أو عذاب النفس ينم عن ان العالم والانسان معه على السواء لا معنى لهما ولا مجال للوصول الى حقيقة السر في وجودهما ، وقولنا ان كينونة الانسان غير قابلة للفهم والادراك وانها خالية من المعنى هو بمثابة قولنا ان الانسان لا يعرف السبب في وجوده وانه لا يستطيع الوصول الى سر المصير الخاص به . وحالة الانسان هذه من الجهالة والحيرة شبيهة بما عبر به « هايدكر » بقوله ان الانسان قد القي به في هذا العالم ثم ترك هناك ، فكأن الانسان قد اسلم الى الاقدار كما يسلم المرء في آخر لحظة من حياته . وقد نقول في وصف هذه الحالة المحزنة ان الانسان قد انسلخ وتجافى عن مصدر كينونته . ثم ان حقيقة هذا العالم الاولى غير مفهومة ولا معنى لها في آخر الامر ، وهذا معناه ان وجود العالم لا يمكن تعليله او تفسيره وانه لا علاقة بين وجود الانسان ووجود هذا العالم في تقدير شامل واحد ، اي ان العالم لم يخلق من اجل الانسان ، فكأن الانسان يحيا في عالم ليس له ما يبرره في خارجه ، وليس له معنى سوى المعنى الذي نسبغه عليه نحن بما لدينا من تفكير محدود . وعلى هذا فان الانسان منسلخ عن العالم الذي يعيش فيه . فهو منسلخ عن مصدر كينونته من جهة وعن العالم الدنيوي من جهة اخرى . فليس لديه ما يعتمد عليه من الارشاد للوصول الى الحقائق العلوية ولا للوصول الى الحقائق الدنيوية ، وارشاده الوحيد هو نفسه ومشاعره الخاصة ، كالذي يهيم في الصحراء بدون معالم او منائر يهتدي بها ، فليس له الا ان يعتمد على نفسه وان يحكم على الاشياء برايه المجرد ، مستعملا في ذلك دافع حب الحياة والرغبة في الخلاص من هذه الحيرة .

ولنعد الآن الى الكلام عن آراء الفيلسوف « كانت » في موضوع المرحلة الثالثة من مراحل تطور فكرة الوجود . فقد اعلن هذا الفيلسوف في اواخر القرن التاسع عشر انه قد احدث في الفلسفة انقلابا شبيها بالانقلاب الذي احدثه « كوبر نيكوس » في علم الفلك . وذلك انه قال ان الحقائق المسماة بالحقائق الشاملة الضرورية في الطبيعة ليست موجودة في الاشياء انفسها ، وانما هي صور فكرية يفرضها العقل البشري على الاشياء . فالاشياء اذن على قسمين : اشياء لها ذاتية بانفسها واشياء هي من تصوير العقل البشري . واطلق «كانت» على القسم الاول اسم Noumena وعلى القسم الثاني اسم Phenomena ، بمعنى ان الاول له ذاتية بنفسه وان الثاني ليس له ذاتية بنفسه وانما هو من صنع الفكر البشري . وقال « كانت » ان عالم الاشياء الذاتية بانفسها عالم لا نعرف عنه شيئا مطلقا الا انه موجود . اما عالم الاشياء المعروفة لدينا بالاحساس كما في الظاهر فهو العالم الذي يحيط به العقل البشري عادة . والامر المهم في هذه النظرية الفلسفية الانقلابية ان العالم الحقيقي الذاتي الماهية لا تمكن معرفته ، ولذلك يجب الاهتمام بالعالم الثاني المعروف بالاحساس والادراك ، ويجب أيضا لهذا السبب ان يكون شعور الانسان الداخلي هو المقياس والمعيار في حياته . ومعنى ذلك ان الانسان منقطع عن مصدر الحقائق العلوية الاصلية ، وليس له الا ان يعتمد على نفسه وعلى آرائه الخاصة في حياته في هذا العالم الظاهري الذي يرتبط هو به بروابط لا انفصام لها ، لانه هو من هذا العالم الظاهري واليه . والقوانين الطبيعية التي يكتشفها الانسان في عالمه هذا هي القوانين التي يعيش بها والتي تؤلف جزءا لا يتجزأ من هذا العالم. وبما ان العالم الذي له ذاتية بنفسها لا يمكن ان تمتد اليه يد الادراك او الشعور ، فهو لا يخشى منه ان يعدو على العالم الظاهري ويشوش انظمته .

هذا ما يقوله « كانت » في تقسيمه الاشياء الى ذينك القسمين . اما الفيلسوف الفرنسي « سارتر » فيطلق على عالم الكائنات التي لها ذاتية بانفسها اسم عالم « الكائن بذاته » ويطلق كلمة (العالم) على عالم الاشياء التي يدركها العقل البشري في ظاهرها بحسب تقسيم «كانت» . ولكن « سارتر » لا يرى أن الانسان يعيش في عالم واحد ، لان

الموجة الضاحكة

***

وطفلة من بنات الموج ضاحكة — تجري ومن حولها للموج اطفال
تمارس الوثب فوق الصخر عالمة — بانها في الغد المرجو شلال
يشدها جاذب الدنيا ويدفعها — فلا يقر لها في حالة حال
غدا تطير بها للجو عاصفة — فتنثني وهي في الآكام هطال
غدا يطوف بها الوادي رحيق شذا — فكل ساقية كأس وجريال
ترنمي طفلة الشطآن وابتهجي — فما يروعك عن دنياك ترحال

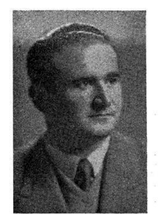
وديع ديب

كل انسان له عالم خاص به يعيش فيه . وهو لا يوافق « كانت » على ان عالم الاشياء التي لهـا ذاتية بانفسها منفصل تمام الانفصال عن العالم الظاهري الاخر الذي يعيش فيه الانسان ، ويرى ان ذلك العالم يوشك في بعض الاونات ان يعدو على العالم الظاهري ويخترق حدوده ، وبذلك يلوح في فكر الانسان صورة عن الحقائق الاولية ، وان كانت هذه الصورة غير واضحة احيانا او ناقصة احيانا اخرى . ولهذا يرى « سارتر » ان العالم الظاهري هو كالطلاء على سطح عالم الكائن بذاته او كالقشرة الرقيقة ، وقد يخترق الشعور هذا الطلاء او هذه القشرة فيصل الى الاشياء على حقيقتها . ويفرق « سارتر » بين عالم الحقيقة وعالم الظاهر بقوله ان عالم الحقيقة لا يحده زمان ولا مكان ، ويرى ، كما يرى « كانت » ، ان الزمان والمكان من صنع الفكر الانساني وانهما تابعان للعالم الظاهري لا لعالم الاشياء التي لها ذاتية بنفسها . وبما ان الانسان لا يمكن ان ينسجم مع عالم الكائنات التي لها ذاتية بنفسها ، لان معيشة الانسان أمر مربوط بزمان ومكان وهذان من اقسام العالم الظاهري ، لذلك فان التوتر لا بد حاصل بين العالم الظاهري والعالم الحقيقي ، ويكون الانسان نقطة هذا التوتر ومحوره ، فتكون حياته بسبب ذلك حياة تنغيص وكبد وعناء .

ونحن نرى من هذا كله ان الفكر الانساني حتى القرن التاسع عشر لم يتخلص من تلك البذرة التي بذرها افلاطون في الميدان الفلسفي ، وكان من نتيجتها تقسيم الاشياء الى حقيقي وغير حقيقي ، وحصر الحقيقة في الصور المثالية التي توجد في عالم غير عالمنا الظاهر هذا . وقد تطورت هذه الفكرة وآلت الى تقسيم الاشياء الى فاعل ومنفعل ، واطلق (الفاعل) على الاشياء ، التي هي خارج الانسان ، واطلق (المنفعل) على الانسان نفسه . وهذا التقسيم الذي يفصل بين الانسان وعالمه الخارجي ظل مسيطرا على الفكر الغربي منذ النهضة الاوروبية ، وادى الى شطر التفكير الفلسفي الى مذاهب مادية واخرى معنوية وجدانية . فبعض الفلاسفة عظم الفكر والعقل وجعل الحقيقة فكرا محضا ، وبعضهم عظم المحسوسات والمادة وجعلها كل شيء ، فكان منهم دعاة المعقول وعلى راسهم « هيكل » ، وكان منهم دعاة المحسوس امثال « ماركس » ، وكان منهم اليقينيون امثال « كونت » الذين لا يؤمنون الا بالعلم النظامي Science . وانقسمت النظرة الى الانسان الى انه مخلوق مفكر فقط ، او الى انه شيء من الاشياء كالاشجار والاحجار والمواد الاخرى . وكان اكبر مشجع على هذه الفكرة الثانية الرقي العلمي منذ القرن السابع عشر والتطور الصناعي ونشوء الرأسمالية ، وتعاظم شأن الآلات والفنون الصناعية مما جعل الانسان آلة من الآلات يشرى ويباع ويسخر كما لو كان سلعة من السلع او مادة من المواد الخام . وتغلب الانسان على الطبيعة بفضل الرقي العلمي والصناعي ابعده عن الطبيعة وجعله منسلخا عنها وغريبا في محيطه .

فالوجودية في الحقيقة هي رد فعل ضد الفلسفة المثالية التي تعتبر الانسان كائنا مفكرا لا غير ، وضد الوضع الصناعي الذي جعل من الانسان شيئا من الاشياء المادية . وفي رأي هذه الفلسفة ان الحقيقة لا تأتي عن طريق الفكر المجرد وحده ، ولا عن طريق العلم النظامي وحده بالاختبار والتجربة ، وانما تأتي عن طريق الفرد بكامل كينونته وعواطفه وظروفه . واشار الى ذلك « كير كيغور » بقوله : « لا توجد الحقيقة الا كما يوجدها الفرد في مسلكه » .

لندن — حسن الكرمي



انطون قازان

فـؤاد سليمان

بقـلم انطـون قازان

* * *

وددت لو نذهب اليوم الى فيع، لنتأكد من ارض هذا الغريب.

على انه، وان أهم الباحثين صلة الاديب بارضه، فكم من حكمة ما عرفت لها ارض، حتى قيل انها من السماء، وكم من رموز بشرية اغفال عثر على لوحاتها في كهوف دهرية، وباقات شعر من قطوف الزمن، رصدت كما على باب جن، أو جمعت في قمقم والقيت في البحار، من مارد عطار، ثم فضت عن جهالة في التسمية، لتغدو مشاعا انسانيا.

وعفو اهل فيع ان رحت ابحث عن ارض شاعرهم، حسبها في العز انها انبتت اديبا، ما كاد ينقضي من عمره الابدي بضعة اعوام، حتى راحت تشتهيه لها غير قمة، وتتمناه غير فضاء.

فؤاد سليمان الانسان المجنح، لامس شيئا من هذا البعد الانساني، الذي لا يبلغ الا بزاد من الاصالة الادبية العريقة، وهتاف من اعماق الحياة.

كثرت في نفسه الهواجس الكبار، وغرتـه الابواب المغلقة، فراح يعصف بالحرف، في جنون بهي، وقد اصيب بشره تجديدي، قلما اصيب بنعمته سواه.

حكايتنا معه حكاية متعبة.

نجاوره على حذر، ثم لا نرضى ان نراه من بعيد.

انه غير العاصفة، فهو يروع ويحب في آن.

حمل اليك ما تحمل الطفولة الهوجاء في بيتك. كلما بعثر من ثمين رياشك، وحطم من نوادر مقتنياتك عاجلته بالقبلة على جبينه، وقلت: سلمت يداك.

وهذا المتململ، المتنفض، الرافض، الصارخ، الناقم، الملح، مقلق جواره، انك تمسي معه، لفرط نفاذه اليك، وكأنك حال من احواله.

هي الطاقة العارمة، تتفجر في اعماقه، فاذا منهـا شظايا على وجهك.

ما تمثلته يوما هداة، ولو إلى حين، حتى أمام الجمال، وراحته. كأنه واجد في نفسه جمالا اعمق، او كأنه ذاهب لمرافقة هذا الجمال بدءا بتكوينه.

انه يفتش من حيث لا يدري عن متاعب، اعفاه الله منها، وابى هو ذلك الاعفاء.

فؤاد سليمان مضيع شيئا في حياته، وربما اشياء. واذا ما وجد مضاعه ظنه غيره.

متعَب، متعِب، ويا ما اهنأ الادب فيه!

كتب، كما توجع الفكرة في البال، وما استراح لهناءة التجسيد. يهدم، ويبني، ويحتقر الانتهاء. انه في لحاق الهموم، دون ان يحد اعتيادها من وجعه.

تقاومه الخاطرة، فيتملمـل، ويروح يغالبهـا بالصبـر، والقدرة، والعناد، الى ان يتم له الابداع، فتراه يلهث حتى التلاشي، ولا عجب، انه يتنازل عن اجزائه.

دروب، مشاها على ضوء قمره، فكان بعض حزن وشجا طويل.

ويأبى ان نكتفي له بما نسميه غربة، انه في المعترك، يغالب نوازع النفس الغريبة، ليبقى دوما في صفاء المحرقة.

ادرك ان للناس حسابا معه، فارهق عصبه بعزمـه، وسبقت حياته طلابه، فكان من ضحايا الاربعين.

انه اديب هادف بمقدار ما هو اديب مترف.

اذا احببته ابغضت الكذب والحقارة والرياء، ومشيت معه الى شريف غاياته.

لقد قرأ على اهل زمانه، ثم جازهم الى المقبلين.

حرمته الايام ان يمرن، فاستعاض باستيعابه الباكر.

تعاقد والحياة على ان يستورد منها ادبه، فعب حينا من الالم، واستل احيانا من نشوات المجان، وانطلق في اي حال كما الامراء الشباب، يصرف من ذاته في لامبالاة السخـي اصلا.

ادبه حاجة طبيعية، تريد ان تعيش، ان تقتات، ان تزود. ومن هنا انه ظل في كتاباته منافذ للنفس وما اختنق تحت اقمطة الفن واحكام اطاره.

نظم شعرا، فتقطع اوصال، وهدر دماء. ويختصر الديوان كما تختصر النشوة.

انه سطع العبير، وشق الفجر، وهروب الحلم. ويبقى كل هذا، في اعجوبة، لا السحر فيها، ولا خدر الاوهام

* القيت في الجامعة الاميركية في بيروت في ذكرى الشاعر.

كبرياء

هاتي همومك يا ابنة النار — مثلي اراك .. غريبة الدار !
هاتي همومك واطرحي شجنا — ادلي به ... ليلي وعيشاري ..
غنيت حتى بح بي صوتي — وبكيت حتى انفض سماري !

*

هذي عيوني .. هل بها قبس — الا ظلالك .. ملء اغواري ..
مدي يديك .. ولامسي كفي .. — أخشى عليك .. لهيبها الساري..

*

هاتي همومك.. فالاسى قدحي.. — من نخبه .. بايعت اقداري
وكر الافاعي كم تلقفني .. — وامتص من عصبي واوزاري
وعلى المجامر .. كم رعى شفقي — صمت اللظى .. فغمست اظفاري
جدفت حتى ضل زورقها .. — من طول رحلته واسفاري
ونصبت فوق النجم خيمتنا .. — وعلى الشذا علقت قيثاري ..
وعلى عيونك كان منطلقي — وعلى يديك .. هتكت اسراري !!

*

ولقد حسبتك غيمة طرحت — ظل الطريق .. فكنت اعصاري..
فالكبرياء لديك اغنية — انفاسها .. من ثقب مزماري ..
ان تشمخي يوما بعاطفة .. — شم الجبال .. هوت لامطاري !
ستظل حتى الموت اغنيتي — وتطاول الاقدار .. اسواري ..
فارخي رموشك واحجبي لهبا — في ضفتيها واسترى عاري ..
فاذا تساءل بعض من يهوى — سر الخلود فهاك تذكاري ..
لن انحني .. للريح ان عبثت — يوما .. اصابعها .. بازراري ..!

القاهرة — فتحي سعيد

بل حروف مثقلة بما يشبه النعيم .

ما اقلقته مدرسة ادبية ، بل أهمه ان يقطف من كل عاصفة هبتها المنعشة .

ان صوت الكبرياء المنبعث من سطوره يأبى اي انتماء .

لقد اخترقت ادبه قوى من غير ما نألف ، فعبارات لا لجام لها ، ونبرات ما روضت ، كأنه آت الينا من جزر بعيدة ، فعلى ردائه ظل من الوحشية الرائعة .

ولكم شاقني ان اتخيله ، ذلك الفتى العصبي ، وقد مزق قميصه في ذهابه وراء الفراشات على احواض فيع ، او في ايابه من نصرة حق .

انه الاديب الضاري .

قلم عاصف ، لوّن ليخط حفرا . فمعادن الكلم طيعة على لهب نفسه . لقد اعطى الالفاظ معنى احر ، والكلمات لفحا اسخن . ففي كل مرة تطرف العين صفحة من ادبه تصدمك الغرابات .

فؤاد سليمان عطية من غلف الايام .

ما كاد يموت حتى تحول بقاء . لقد قضى على ادراج المجد .

ظل يجهد محاولا ان يختصر المسافة بين انتاجه ومراده حتى غدا ظله بالنتيجة معادلا لقامته .

ولائم ، مدها هذا الجائع الملهوف ، وطويت ولائم المتخمين .

فيا تموز ،

لا من بلاد فارس مساكب الورد ، ولا من قصايا الجزر معرشات الياسمين . انها مواسم النسم ، هب من ارض فيع ، فاحتوته الدنيا ، على ائتلاق الحروف والاضواء .

فؤاد سليمان ، حسبك ، اننا ، لشهامات عمرك ، بتنا نؤثر العمر القصير ؟

انطون قازان

دقات قلبي



الى اخي سعيد عقل

•

اهديتفي هذه الصفحة من «الاديب» اشعارا لاحباي، فيهمالبير اديب وجورج صيدح وامين نخلة وجان كميد ووديع فلسطين ووداد سكاكيني ، وهم يعيشون في قلبي ، واليوم أهدي هذه الاشعار الى سعيد عقل الذي رأيته منذ ثلاثين عاما آبو للون الشعر في لبنان ، حتى تجسم اليوم حقيقة عربية كبرى تشع بالفكر والشعر ، بعبقرية جبار ، وبراءة طفل . (المحاسني)

●

قلبي يدق بإلحاح على صدري ... كأنه اليد تبغي الفتح في الاسر
الباب أُغلِق لا مفتاح هلك يدي ... ولست سجّانه والعذر لا عذري
قد كان عصفوره غنى على فَنني ... عصر الشباب وأنى طار؟ لا أدري؟
لم يُرضه قفص يحويه من ذهب ... وما أطاق حياة النّهى والامر
نهر على العمر يجري في تدفقه ... دَمي ، فما شأنه طول المدى يجري
النهر راح بلا عَودٍ ومرّ به ... ماء تتابع عبر السهل البحر
لكن نهري في عودٍ بلا ملل ... فأين دلتاه في أيّ ألدجى تسرى
تمر أحبابه حسرى مُفكِرةً ... لا عشب الضّفة اليسرى على النهر
أنام علّ دوِياً منه يهجرني ... على الوساد فألقى الصوت في سري
وأحسبُ الحلم يسليني ويبعدني ... وكم تنبهت والانفاس في ذعر
إن لطّخوا القلب بالآلام جئت به ... الى الجحيم أُزيل الهمّ بالطهر
فقال دنتي لفرجيل : يطارحنا؟ ... أما كفاه المعرّي لعبة الدهر
لديه في الجنة الغناء محشرها ... وكوثر بالجنى المعسول يستمري
للشّعر قلب وعذب الفن خفقته ... دُل الأنام عليه وانتظر دوري
«سعيد يا عقل يا روح الشعور فتى ... قد كنت أُسطورة في خاطر الشعر
حتى تمثلت في العرباء مُنيتها ... حقيقة سطعت في هبَّة العصر

دمشق ... زكي المحاسني



محمد رجب البيومي

مصرع حجر بن عدي شهيد الرأي

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

علقت بذهني شخصية حجر بن عدي في وقت مبكر من طفولتي الادبية ، اذ شاءت المصادفات ان تكون رواية غادة كربلاء للمرحوم جورجي زيدان من أوائل قراءاتي وقد تحدثت عن حجر حديثا بطوليا رائعا يتفق مع ما سجله التاريخ له من شجاعة جريئة ، وزاد المؤلف الكبير فأضاف الى شخصية البطل الشهيد شخصية والده عدي ، ومع أن التاريخ الرسمي قد سكت أو كاد عن رسم وقائعه فان جورجي زيدان قد جعله احد ابطال قصته ، فهو يلحق الادب الثاكل بشجعان الاساطير تارة، ويدرجه بين القديسين والنساك تارة اخرى ، ومع ان القصة التاريخية تتحدث عن مصرع الحسين ، فتصور مأساة تفتت الجماد وتذيب الصخور مما يعقل ان تطغى بفجائعها المذهلة على كل شخصية أخرى في الرواية حقيقية او متخيلة ، مع ذلك كله فقد ظلت شخصية عدي كما حددها المؤلف تملأنواحي القصة حياة ودهشة ! وانا في حاجة الى ان اشير اليها ، لاوضح ما يستطيعه الكاتب الفنان حين يفرض على التاريخ شخصا كبيرا ينطقه باللفظ ويدفعه للعمل ويمنحه المعجزات حتى يستحيل في ذهن القارىء شيئا ذا بال بل شيئا معجزا يتعجب منه وله ! والمؤلف من وراء ابتكاره الاسطوري يخدم الحقيقة التاريخية في كثير ، فهو مضطر الى ان يصور مشاعر الانتقام والثأر ، ويتحدث عن نيران الحفيظة والغيظ ويرسم احابيل الدهاء والمكيدة فاذا استطاع ان يبلغ ما يريد محتميا بشخصية يفرضها على الناس في روايته البديعة ، فقد عرض جانبا هاما من الوان الصراع بين النفوس البشرية كما كان او كما يمكن ان يكون !

ماذا اريد ان اقول !

اريد ان اسجل اني انتبهت الى تاريخ حياة حجر البطل الحقيقي من خلال ما قام به والده الاسطوري من خوارق تفتح بها ذهن الكاتب الكبير جورجي زيدان! فهو في مرآته شيخ يروع بغرابة هيئته وخشونة لباسه اذ كان من الشيخوخة بحيث لم يبق في رأسه، ووجهه شعرة سوداء حتى يخيل الى الناظر اليه عن بعد انه عمامة بيضاء قد برز منها انف وعينان سوداوان أحدق بحدقيتهما قوس الشيخوخة يعلوهما جبين متجعد ، وهو بعد لا يمشط شعره ولا يغسل وجهه يصحبه كلبه لا يفارقه ولا يرتدي غير ثوب كمسوح الرهبان لا يعرف له لون لقدم عهده وما رأى من تقلبات ! ومن غرائبه انه لا يأوى الى غرفة ينام فيها بل يتوسد الزوايا المختلفة وآونة يبيت في الغوطة على بعض الاشجار او تحت بعضها على انه لا يذوق اللحم ولا الخبز ولا يأكل غير الفاكهة يجمعها من أطراف الشجر بالبساتين حيث لا يعترضه معترض تهيبا له!

وهو في سنه المعمرة يقوم بما يقوم به الشباب ، فيتسلق الاشجار ، ويحمل بعض احبائه على ظهره اذا تحتم ان ينقذه من كارثة ! ويشق الصحراء ويعبر البحار ، ويقطع الليالي سيرا على قدميه من قطر الى سواه ! اما كيف تنكر هذا الجبار في ثوب الراهب ، فلانه كما يرى المؤلف والد حجر الصريع هاله ان يقتل نجله غدرا بيد معاوية وان يفارق الكوفة الى الابد ليقبر في دمشق، واحس الوالد حنانا الى ملازمة القبر ! وكيف واني ! وعشرات الحراس يرتقبون لا بد ان يتنكر ليأتي القبر كما شاء ، وليقول الناس راهب مخبول يأتي الخلوات ، وينام بين الاضرحة ، ولا يضر احدا من الناس ! اما هذا الراهب العجيب فقد جعله المؤلف يدس السم في طعام يزيد امير المؤمنين بعد ان قصرت مكيدته عن معاوية في حياته واذ ذاك يشتفي صدره لانه ادرك الثأر ، ولم ينم على ضيم واهتضام ! وقد كشف عن نفسه في نهاية الرواية فقال :

« اما سبب تكتمي فذلك اني حين اصبت بمقتل حجر، لم يعد يحلو لي البقاء وظل قلبي عالقا بالانتقام ، فعللت نفسي بموت معاوية ومبايعة الحسين وجعلت مقامي فوق قبر ابني في غوطة دمشق استنشق ترابه واتنسم ريحه فلما لم يظفر الحسين بالبيعة وتولى الخلافة يزيدصبرت في انتظار الفرج أو الموت وظللت أكاتم امري واخفي وجهي حتى لا يعرفني احد . وقد عاهدت الله منذ مقتل حجر الا اقص شعري ولا آكل غير الفاكهة ولا آوي الى المنازل حتى شفيت غليلي وثأرت من يزيد !

هذه الشخصية الاسطورية ، اتحدث عنها الان تمهيدا شائقا لشخصية حقيقية قامتبدور بطولي ختم بالاستشهاد واذا نجحت الاسطورة في تقريب حقائق التاريخ وتلوينها

فقد ضمت لها مكانة بارزة في دنيا الادب والفن ! ونحن بعد في شوق الى ان نتحدث عن عدي بن حجر حديث المؤرخ الدقيق فنقول عنه معجبين .

حين تمت كلمة الله وأشرق نور الاسلام في فجاج الارض وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم شاب قوي في ملأ من قومه، يتقد حمية ، ويلتهب فتوة ونشاطا ، فتلقى اصول الاسلام ، وسمع عن صاحب الشريعة ، ثم رجع الى قومه ، وقد شغف بالدين الجديد فاخذ يتعمق اسراره ومبادئه ، ويستظهر قرآنه واحاديث نبيه . حتى اصبح من دعاته الغيّر ، وحماته الذادة ، وكان الذي يوقد احزانه ويؤجج شجونه انه لم يسلف يدا سابقة في نصرة دينه ايام بدر واحد والاحزاب وتبوك وخيبر ففاز غيره بمثوبة الجهاد ، وفرحة النصر ، بينما قعد به الحظ والسن معا ، فجاء في مؤخرة الركب بعد أن اشرقت الشمس وعم الضياء!

وما كادت جيوش الاسلام تتقدم غازية مجاهدة ، حتى اسرع حجر بن عدي فانضم الى كتائب الشام ، وابدى من ضروب البسالة وافانين البطولة ما اثلج صدره ، واسكن قلقه ، وتقدمت الجيوش الظافرة في طريق النصر ، حتى بلغت القمة ، واوفت على الغاية ، والبطل الشاب لا يقنع بنصيبه الممتاز في الجهاد والجلاد بل يطير الى بلاد فارس فيعسكر في نهاوند ، ويبعث في قلوب اصحابه الحمية والعزيمة ، حتى تعلو كلمة الله ، وتنهار معاقل المجوسية ، وبذل جهده المدخر في سيطرة الحق واستعلاء كلمة الرحمن .

كان حجر بن عدي جريء اللسان كما كان جريء القلب سواء بسواء ، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في قومه ، حتى هابه اصحابه ، وقدموه في الراي والمجلس ، ونزلوا على حكمه في امورهم الخاصة والعامة ، وهو لا يحيد عن دينه في قضية ، ولا يخالف قرآنه في مذهب ، وكانت خلافة عثمان رضي الله عنه مرحلة هدوء واطمئنان بالنسبة اليه فلبث بالكوفة زعيما مسالما في قومه ، لم يرفع سيفا في حومة، او يركب جوادا في ميدان! ولكن الخليفة الراشد عثمان يذهب شهيدا الى ربه ، وتتجه الانظار الى الخلافة الاسلامية ، فيحوزها امام الحق ، وينازعه جماعة في امره، فيضطرب حبل الفتنة ، وتتسع شقة الخلاف ، ويتفرق المسلمون طرائق قددا ، لكل وجهة وامام ، وحجر بن عدي يستعرض الحوادث ويزن الشخصيات ، ثم يتعمق الامور فيسبر المطامع والاهواء . ويرى الحق مؤتلقا في جبين الامام علي كرم الله وجهه ، فيسارع بالانضمام الى معسكره ولم يشأ ان يعتزل الناس حتى تنجلي السحب وينقشع الضباب ، بل راى المشاركة الفعلية واجبا حتما تفرضه الرجولة ، ويوجبه الدين في مساندة الحق وازهاق الباطل ، وكانت عقيدته تدفع به الى التضحية في نصرة صاحبه ، فهو كرم الله وجهه ابن عم الرسول ، وزوج المطهرة البتول ، وفارس الاسلام في مآزقه وخطوبه ، وعلم التشريع والفقه والقضاء ، وصاحب الخلق المحمدي النقي ، فهو احق من يتولى أمر الاسلام ، دون ان يوزن به احد تحمله الارض وتظله السماء !! وقد تحول اكباره لعلي الى هيام عنيف ملك عليه مشاعره ، فاتجه معه الى معارك الجمل وصفين والنهروان وناضل وكافح في نطاق خاص رسمه الامام ، اذ انه كان يؤثر العافية ما استطاع ولولا ذلك لماجت سيول الدماء بالبطاح والكثبان ، وكلما تأزم الموقف بعلي وتكاثفت امامه الحوائل والموانع تأسف حجر والتاع ، وعجب لدنيا غادرة تملي لذوي الاطماع ، وتنكل بالاحرار . وكان مصرع الامام الشهيد كرم الله وجهه نارا مشتعلة تأججت في احشاء حجر فقرحت اجفانه ، واسهدت ليله ، واسلمته الى هم مقعد ، وحزن مقيم !!

ثم ولي الامر معاوية ، واستوطن حجر الكوفة ، بعد ان قاطع الحسن غاضبا لاستسلامه ، وهاله ان يسمع اللعنات القاسية تصوب الى علي فوق المنابر دون خجل واستحياء ، والقوم مطرقون لا يتناهون عن منكر سمعوه ، فصاح بالخطيب مقاطعا منكرا ، وانضم اليه نفر من معشره ، ووجد الحق نصيره في حجر ، بعد ان ماتت الرجولة ، وغاضت ينابيع الوفاء .

وكان المغيرة بن شعبة والي الكوفة في خريف حياته ، فلم يشأ ان ينكل بحجر وما لبث ان اخذ مكانه زياد بن ابيه ، فأكثر من الوعيد والتهديد ، وارسل الخطب الضافية محذرا منذرا ، وحجر بن عدي امامه كالصخر الجاثم لا يتزحزح عن موقف يعلم فيه العدالة والحق ، وقد اصطنع زياد بادىء ذي بدء شيئا من الرفق واللين مع حجر ، وآثر ان يستميله بعرض زائل ، وعارية مستردة ، ولكن هيهات، فقد رسم لنفسه طريقا سويا ، وانى له ان يحيد ؟ ، ولم يكتف بالاحتجاج الصارخ على سب علي ، بل انتقد الوالي الظالم في شئونه المجحفة بالعدالة ، ووقف امامه يجلجل بالنذير ، ويعترض الباطل في مده السريع ، وقد قتل عربي ذميا ، فاكتفى زياد بالدية دون ان يرضى بها ولي الدم ، واصر حجر على القصاص تنفيذا لشريعة الله فأذعن زياد مكرها ، وطوى الضلوع على حقد متأجج وغيظ مرير ، وكان أمر زياد مع حجر عجباً أي عجب !! فقد سلخا معا حقبة طويلة يعملان في جند علي ، ويقاتلان بسيفه ويبذلان دمهما تحت رايته ثم لوت الدنيا عنق زياد الى معاوية ، فانتسب الى غير ابيه ، وشرفه الخليفة الداهية باخوة مزعومة ، دون ان يسنده نص في كتاب ، او شهادة من ثقة عادل !! واذ ذاك غره الغرور فاندفع الى الجهة اليسرى يحارب اصدقاء الامس ، ويتبرم بحجر ويضيق بمذهبه السياسي اعنف ضيق ، واكبر الظن انه كان يعاني عقدة نفسية من استلحاقه الجريء ، فاصحابه يتهكمون به في صدورهم ، والسنة السوء تترامى به في الاصقاع النائية ولا بد من المضي في سبيله الجديد مهما ازداد التهكم ، وكثر اللفظ عليه في الحديث ، وعليه أن يبدأ بحجر هذا فقد امسى لا يطيق له منظرا او يسمع عنه حديثا ، وذات

يوم صعد الى المنبر ، وتعمد ان يطيل في غير طائل ، حتى ضجر الناس ، وصاح حجر « الصلاة ! الصلاة ! » وصاح معه اصحابه ، فقطع الخطبة مكرها ونزل الى الجماعة ، وقد أضمر في نفسه اسوأ ما يضمر رجل لرجل ، ثم اخذ يتمتم في طريقه ، « ويل أمك يا حجر بن عدي !! لقد وقع العشاء بك على سرحان !! »

لقد تأزم الموقف بين الرجلين ، فهل ثكل حجر عن موقفه الجريء ؟ كلا ثم كلا ، فهو لا محالة يلعن من لعن امامه الشهيد ، ويشغب عليه واليا كان او خليفة او اميرا ، حتى هجمت عليه شرطة زياد مدججة بالسلاح ، فاقتادته الى غريمه الحاقد ، وقد قذف به الى السجن مع ثلاثة عشر رجلا من اصحابه ، بعد خطوب دامية ، وكوارث رهيبة ، واخذ يجيل الفكر في ابادتهم ابادة ساحقة ، ولا بد من افتراء اكاذيب فاحشة تبرر القتل والاستئصال في اعين الناس ، فاخذ يجمع اهل الكوفة ، ويستمع الى خصوم عدي في امره ، فكأن اعنفهم لا يزيد عن انه نال من معاوية اذ نالوا من علي !! وذلك امر لا يوجب ابادة واستئصالا في منطق الاسلام ، وان كان جريمة شنعاء في منطق زياد، وخطيئة تتزلزل لها الاطواد وتنفجر البراكين !! ماذا يصنع ابن ابيه في غريمه العنيد ؟ انه اجبر ابا بردة بن أبي موسى الاشعري فكتب له شهادة « بأن حجرا واصحابه قد خلعوا الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، وبرئوا من خلافة معاوية وهموا باعادة الحرب جذعة فكفر كفرة صلعاء !! » ثم امضاها كثير من الشهود يزيدون على السبعين ، وفيهم اناس من ابناء المهاجرين والانصار ، وافحش زياد فذكر عدة اسماء لم يشهد اصحابها على افترائه ، ثم بعث بكتابه الآفك الى معاوية كوثيقة كافية للادانة ، وكان شريح القاضي ممن ذكر اسمه دون ان يعلم ، فجزع جزعا شديدا ، وكتب الى معاوية ، يزكي حجرا ، ويتبرأ من دمه ، فاسرها في خاطره

واضمر في نفسه غدرا اي غدر ، وقد سار اليه ركب حجر بالسلاح والجنود ، فتمكن من غريم قوي عيوف ، وطفق يمهد لاعدامه ، ويتخذ من كتاب زياد دعامة يتكيء عليها في ادانته ، فهو يقرؤه على أصحابه مستهولا مكثرا ، ويتلو اسماء الشهود مكررا ، ثم يستشير الحاضرين كأن ليس له نية سابقة في الغدر والاعدام ، فيسمع من يشير عليه بالحبس او النفي ، وكلاهما دون ما في نفسه فهو حريص على اراقة الدم دون اي عقاب ، وقد شفع اهل الشام في سبعة اشخاص ممن حق عليهم القول في رأيه ، فقبل شفاعتهم ، وجاء اليه من يشفع في حجر فغضب اعنف الغضب ، ورفض رفضا لم يدع مجالا للاستبقاء ، ثم تقدم الى الاسير المكبل يسأله عن علي ، فاثنى عليه اجمل ثناء ، وادركته بطولة اللسان ، وجراءة القلب ، وهو يرى السيوف اللامعة ، والاكفان المنشورة ، فندد بما احدث معاوية من امور لا تتفق ومبادىء الاسلام ، ثم تقدم الى الموت مع من بقي من اصحابه ، مبتهجا بالشهادة ، واثقا من القصاص الحق ، وطارت الى السماء روح ابية صادقة لتتبوأ مقعدها الخالد بين اناس عرفوا الحق فاتبعوه ، وحسن اولئك رفيقا .

وما كاد مصرع حجر يدوي في آفاق الدولة الاسلامية، حتى بلغ السخط مداه على معاوية ، ففزعت عائشة ام المؤمنين ، وبكى عبد الله بن عمر بالمدينة ، وتذمر معاوية بن خديج بمصر ، وقام الربيع بن زياد في خراسان بمأتم نائح ، واعتكف مالك بن هبيرة بمنزله بالشام ، اما الكوفة عرين الاسد الصريع فقد قامت بها المنائح الجازعة ، رغم سطوة زياد وجبروته ، وفاض الشعر بمراثيه الحزينة . فسجل زفرات تحرق الاكباد ، وانك لتستشعر اللوعة حين تسمع من تقول :

الا يا ليت حجرا مات موتا ... ولم ينحر كما نحر البعير ،
تجبرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير
فان يهلك فكل زعيم قوم ... من الدنيا ، الى هلك يصير

وقد ادرك الخليفة الاموي زلته الخاطئة ، وعرف موقعها الاليم من النفوس ، فاخذ يستميل اقارب حجر بالمال تارة، وبالقدر والقضاء مرة اخرى ، وقد اعتزله مالك بن هبيرة في منزله فبعث اليه بمائة الف درهم ، وقال له : « ان امير المؤمنين لم يمنعه ان يشفعك في ابن عمك الا شفقة عليك وعلى اصحابك ، أن يعيدوا لكم حربا اخرى ، فيكلفك الشخوص اليه ، ويكون في ذلك من البلاء ما يكون » وهو تبرير مخجل ، وتمحل بفيض شفعت له النقود فأغمضت عين مالك ، وقطعت لسانه ، الى حين .

على ان معاوية وقد اسكت مالكا لم يستطع ان يسكت نفسه بتبرير صادق لموقفه ، فقد استباح — وهو امام المسلمين — دماء اناس عصمها الله ان تراق دون ان يسمع لهم ، او يأذن في الدفاع لمن الصقت به التهم الزائفات ، وقد اكدوا له أنهم ثابتون مع الجماعة على بيعته ، فانهارت بذلك كل دعامة يمكن ان تسنده في بطشه ، وجاء من الامر ما لا تقبل فيه شبهة واعتذار .

وقد ظل بعد ذلك حائرا قلقا يتصل بالعلماء كعبد الرحمن بن ابي ليلى ، فيصارحونه بالخطيئة والمعصية في قتل حجر واصحابه ، وتراه زوجته وهو يصلي ذات مساء فيطيل الصلاة . فتقول : ما احسن صلاتك ، لولا انك قتلت حجرا ثم يأتيه اجله فيكون مما يردده في احتضاره ، « ويلي منك يا حجر ، ان يومي معك لطويل » .

لقد استشهد حجر بن عدي ، فضرب المثل لمن بعده في شجاعة الرأي وقوة العزيمة ، واشهد التاريخ ان الاسلام قد انجب ابطالا يؤثرون الشهادة على الحياة دون ان تخضع نفوسهم لبهتان ، أو تستنيم ارواحهم الى ضلال .

الفيوم — دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

على امواج من الصوت مترعة .
على احلام ذراع شجرة باسقة .
على اسراع المطر في الهطول .
على تدفق الغيوم من كل صوب .
ادخن سيجارة ..

البارحة كنت انزل سلم المؤسسة وانتظر مستندة الى الحائط قدوم السيارة . كانت تطالعني وجوه من هنا ، وجوه من هناك . ابواب تدفع من بداخلها ، الناس تسير على الرصيفين ، تجتاز الشارع ، تمر السيارات ، العربات ، الحمير ، الدراجات ، مسرعة .

على امواج من الصوت مترعة ،
على احلام ذراع شجرة باسقة ،
تنام اليوم وجوه كانت ضاحكة .
والمطر يهطل برشاقة ، باسراع بغزارة عليها .

الحياة تقف امامي كلوحة عارية .
كتمثال من الشمع . ضاحكة عابثة ، قاسية ، تدعو الى القنوط منها .
ما يهمني هذا التراب الذي تهددني به ، تهددني به .
التراب .

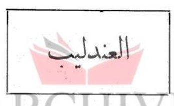
على امواج من الصوت ، مترعة ، اتابع رقصتي ، بنشوة السكران المتألم ، ما همني هذا التراب ، الحياة تمثال من الشمع ، سرعان ما تضيع معالمه بقليل من الاشراق ، من الشمس .

الا يمكنني ان انسى ذلك الوجه ، وذلك الوجه ، وذلك الوجه ، وانظر الى اللا ذكرى ؟

ان ارض المسرح من خشب : اقدام الراقصين تضرب عليها . وجنات الفتيات موردة ، الفم ينفرج عن لؤلؤ ابيض . رؤوس الفتيان شامخة ، انفة ، سراويلهم سوداء عريضة ، جزماتهم لماعة ، قوية .
ويختال جميعهم بالعنفوان ، بالفرح المترع ، على امواج من الصوت .
وادخن سيجارتي الثانية .

الهواء يصفر في الخارج . يحاول اختراق الابواب المغلقة . كصوت التأنيب ، كصوت الندم ، كصوت البكاء .
الهواء يصفر ، يا للجبن .
اقف وعلى صدري لافتة تقول : جبانة انت .
والهواء يصفر وقد اخترق الابواب ووصل الي .
واشعل لفافة تبغ جديدة .

كنت استند على الحائط منتظرة السيارة ، والوجوه تدفق ، واجمة او سعيدة ، ساهمة او مستبشرة ، ثم يترقرق وجهها ، ثم وجه اخر .
ثم يختفي الوجهان . كل منهما كان يحييني بابتسامة ، من قريب او بعيد .
بكلمة تتدحرج كقطعة من الماس ،



بقلم الانسة رينه عبودي

ثمينة .. مجانا .
كل دموع العالم لا تكفي لرثاء العالم.
هكذا سمعتهم يقولون .
انا لست جبانة .

وتمتلىء المنفضة بأعقاب السجائر الملتوية البيضاء ، لكأنها ظهور كهنة بلباس ابيض منحنية على الارض .
على الرماد . على التراب .
ان الطرقات الطويلة التي تصل المدن ، القرى ، ببعضها البعض ، قد اصطبغت بالدماء .
لكن الانسان العاشق يغمض عينيه على صدر من يحب وهو يجتازها مسرعا .

قصة

والانسان الكهل متعب ، لا يقوى على البكاء .
والطفل لا يعي ، لا يفهم .
والطريق يظل مصطبغا بالدماء حتى يمتصه التراب آخر الامر .
ويتصاعد الدخان الى سقف الغرفة ، يحط هنا وهناك ، على الستائر ، على الجدران .

يجب ان اضع اطارا للوجوه التي اختفت . ان هذه الوجوه تطاردني مهما تواريتعنها . تلاحقني باستمرار يجب ان اضعها ضمن اطار ، او ادق بها مسمارا في جدار ما واعلقها في مكان واحد لا يتغير .

ان الروح ما تزال فيها . انها تتغذى من روحي . تتجول معي ، تقتحم علي عزلتي .

هل يمكن ان نحارب الواقع . ان نقطعه اربا . ان نتجاهله . ان نقذف به الى اقصى الاقصى .
الواقع يجهر بوجوده . بقسوة بصرامة بسخرية مرة .

*

وصوت حنون هامس قرب اذني يقول لي :
ـ ماذا لو ذهبنا اليها . ماذا لو وضعنا فوق الحجر هناك بعض الزهور ؟
وانفر هاربة مرتعدة .
ـ لا !
واردد لنفسي.لا والف لا. لا استطيع.
واتخيل اليد الناعمة البضة ، والذراع الذي كانت تظهر من كم القميص .
واهز راسي . لا استطيع .
تلك العيون التي كانت مسرحا لشتى النظرات ، ذلك الفم الذي كان يضج بالكلام ، بالضحك . تلك الجبهة التي كانت كشرفة قصر عالية تشرف ، تشرق ، على كل شيء .
ـ لا ، لا استطيع السير الى قبرها .
انني اهديها كل يوم باقات من الزهور ، في نفسي ، غير انني لا استطيع ان امضي الى المكان الذي لا اريد تصديق وجوده .
وصفير الرياح يمر من قرب البيت، يلامس الجدران من الخارج ويصل

صدى ضوء

ظل نهار .. واخضرار   صوتها ... اي بهار !
تحبها ؟ تسالني   كأس وخمر وجرار
احبها ؟ هذا الدوار :   احبها ؟ يا للدوار !
الحلم ؟ ما خضبني   احياه ... الحلم نهار
السفر الجديد ؟ في   عينين لمتا بحار
اللون ؟ ما احلى ! انا   ارى ... فاعبر الجدار !!

أي لقاء ! يا هناء   الوهم ... ينضج الثمار
وجهك ابيض الشراع ...   وجهك الحمام طار ...
وتسبلين جفنها   الاحلام ، والاحلام نار
والصمت ما احلاه في   خديك ! من غير ازار ...
أقرؤه : يقول لي   من هاهنا درب المحار
أي لقاء ! رفة   من الاساطير الحرار !!

اللون من صحو بلادي   وبعينيك انتظار
يا حلوة اللفتة ! يا   صوتك في قلبي اخضرار
انا الذي سالت عنه   يا انا الاهل الفخار
بالله قولي . ما رايت ؟   النهار في احتضار ؟
بالله قولي . آه لا ...   احلى ارى خلف الستار !

لو نلتقي ثانية .   والليل ... ما هذا الاسار ؟

حلب   علي الزيبق

رغم الابواب الموصدة الي
ــ جبانة انت . جبانة .
وادخن ساعات الليل . ابحث بدون جدوى في المذياع عن صوت عندليب، اهيم على امواجه المترعة . علىاحلامه الثي تشبه ذراع شجرة باسقة ، تشبه المطر الفرح في اسراعه في الهطول ، تشبه سور الفيوم وقد تدفقت جماعاتها من كل صوب .
ابحث في المذياع عن صوت عندليب، دون جدوى .

*

اشراقة الفجر باتت قريبة ، لن يبقى من هذه الليلة آلا هذه المنفضة باعقاب هذه السجائر .
سأغسل وجهي وارتدي ثيابي بعد قليل وامضي الى شأني . فساعات نهاري قد بيعت منذ زمن طويل .
بعتها وكل ما حولي يهز يدي مهنئا ، مسرورا. انني امنح ساعاتي كل يوم في نفس المكان لنفس العمل .

وحين يمضي النهار وتنقضي ساعاته كما انقضى النهار الذي قبله ، سأعود وتعود الوجوه التي توارى اصحابها تدور حولي ، تريد مني قوتها .
انني اعطيها من نفسي مرغمة ، مشفقة. ويحدث احيانا ان انفجر باكية ، لعلها ترحمني . لكن نظرتها الحزينة اليائسة ، تعود بي الى ان افتح لها صدري واجعلها تعيش ساعة من عمرها الفريب ، ثم ساعة اخرى ، ثم ساعة ايضا .

*

واحيانا ، احن من جديد الى صوت العندليب .
الى صوت الاحلام الجميلة .
احن الى النوم دون يقظة فزعة .
الى الامواج الوردية .
احن الى الوجوه التي اراها كل يوم ، حية .
الوجوه التي لم يوارها التراب ، الوجوه التي تستنشق الهواء وتعرف الضحك والبكاء وتحب صوت العندليب . فأذهب بخيالي اليها ، المسها ،اتلمسها ، ابتسم لها ، اعانقها بحرارة قلب مضطرب ، قلب متعطش للحياة الطيبة ، الحلوة .
ويأخذ بنفسي تيار قوي ، يلح علي بتأمل من مات وكيف سنموت ، وتيار اخر يطالبني بقوة ان افكر بالعيش ومن يعيشون .
ويمضي الليل ، ليلة اخرى ، تلو الليلة ، ويعود الغد ، فأقصد مكان عملي وبيدي ساعاتي التي تسخر تارة لجمع احرف ، اخرى لطرحها ، ومرة لتجزئتها ، ويستمر ذلك حتى انقضاء النهار . وهكذا !.
ومع ذلك لا اصدق ان عمري يمضي وان وجه احدى صديقاتي قد بات تحت التراب في ركن بعيد من المدينة.

حلب   رينه عبودي

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

يوسف العيسى – عبد الله مخلص رشدي صالح ملحس

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ – يوسف العيسى

ولد المرحوم يوسف العيسى عام ١٨٧٠ في يافا بفلسطين ، وتلقى علومه في المدرسة الارثوذكسية وظهر ميله الى الصحافة منذ حداثة سنه ، واسهم في اصدار جريدة « الاصمعي » بيافا مع المرحوم حنا عبد الله العيسى وصدر العدد الاول منها في الاول من ايلول عام ١٩٠٨ .

وبعد أن تخرج من المدرسة اصدر مع ابن عمه المرحوم عيسى داود العيسى جريدة « فلسطين » اليافية وتولى رئاسة تحريرها وصدر العدد الاول يوم السبت الواقع في ١٤ كانون الثاني عام ١٩١١ .

وخلال وجوده في يافا عمل في الحقلين العربي والارثوذكسي العربي ، ففي الاول كان في طليعة المنادين بحرية البلاد العربية ، وفي الثاني كان يطالب مع اخوانه بحقوق العرب الارثوذكس في فلسطين والاردن ، تلك الحقوق التي اغتصبها الرهابين اليونان وهضموها وابوا ردها الى اصحابها الشرعيين !

وعند نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) سيق « ابو خالد » الى الديوان العرفي بدمشق ليحاكم هناك بتهمة الدعوة الى انصاف العرب وتحريرهم من ظلم الاتراك الذين استباحوا حقوقهم ، واغتصبوا اقطارهم ، وشردوا سراتهم وعائلاتهم الى مجاهل الاناضول ، لقتل الحركة العربية ، ووأد اصوات الاحرار المنادين بالحفاظ على عروبة بلادهم ، وانقاذ بني جلدتهم من التتريك والانصهار في بوتقة العنصر الطوراني .

وظل يوسف العيسى في سجن دمشق الى ان زال الحكم العثماني عن البلاد العربية وما ان دخل الجيش العربي سورية حتى انشأ في دمشق جريدة « الف باء » وصدر العدد الاول منها في اليوم الاول من ايلول ١٩٢٠ .

وعند صدور هذه الصحيفةالقومية سئل المرحوم العيسى عن سبب تسميتها « الف باء » فكان جوابه : « اننا معشر العرب ما زلنا في اول ابجدية السياسة العالمية ، ولم نحفظ من حروفها سوى حرفي « الف » « باء » !

وظل الفقيد يشرف بنفسه على سياسة الجريدةويوجهها بآرائه السديدة ، وافكاره العميقة ، وسلخ من عمره اربعين عاما في صناعة الحبر والورق ، وقد فهم ان الصحافة قوة تنفع ، وسيادة ترفع ، فارادها محبوبة لا مرهوبة ، وكبيرة لا صغيرة ، ومتزنة لا متسرعة !

وتميز « ابو خالد » بالاعتدال والاتزان والسمو في خلقه وقلمه وتفادي الالفاظ النابية ، واشتهر بانشاء افتتاحية كل عدد من اعداد « الف باء » وكتابة « مباءة نحل » التي كان ينشرها في الزاوية اليسرى من صدر صحيفته ، وكانت « مباءات نحلة » لذيذة شهية المذاق ، يقبل عليها القراء وعلى الافتتاحيات بشهية الجائع ، اذ كانت تنطوي على نقدات لاذعة كابر النحل !

ولقد ظلت « الف باء » مستمرة في الصدور حتى اعلان الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ وقد توفي صاحبها عام ١٩٤٨ قبل قيام الوحدة بعشرة اعوام ، ومما تجدر الاشارة اليه ان ثلاثة من اعلام الادب العربي المعاصر انضموا في مستهل صدور « الف باء » الى قلم تحريرها وهم الشاعر الكبير الاستاذ شفيق معلوف وشقيقه عريس الخلود المرحوم فوزي معلوف والنقادة الشهير المرحوم احمد شاكر الكرمي المعروف بتوقيع « قدامة » .

لقد عرف الفقيد يوسف العيسى بارائه السياسية الصائبة وتقديره للامور مقدمات ونتائج ، اذ كانت الحوادث تثبت صحة ارائه ، وكان رحمه الله ، احد اربعة من الصحفيين العرب الذين نبهوا الى خطر الصهيونية فناضلها بقلمه على صفحات جريدته ، وباحاديثه الطلية الموزونة في مجالسه وندواته !

وامتاز المرحوم العيسى في كتابته بميزتين هما : الصراحة القصوى والايجاز ، فهو قليل الكلام في كل موضوع يخوضه ، الا انه ناصع الحجة ، يصيب مفصل الغرض الذي يرمي اليه من اقرب طريق واحكمه ، وبالجملة فهو فيلسوف في طريقة تفكيره ، اديب في التعبير عنها .

وقبل ان يغمض الردى عينيه بساعات قال وهو على فراش الموت : « لا اريد ان اموت قبل ان اتمم رسالتي القومية ، وارى العلم العربي يرفرف عاليا على هضاب فلسطين بكاملها ! » .

٢ – عبد الله مخلص

ولد المرحوم عبد الله مخلص عام ١٨٧٨ في بلدة «عينتاب» من اعمال محافظة حلب وعرفت اسرته فيها بـ – بيت شبجي خوجه زاده – وكان ابوه ضابطا في الجيش العثماني فجاء بولده طفلا الى فلسطين ونشأ الطفل في « جنين » من اعمال لواء نابلس ، وبحكم عمل والده في حيفا نقل عبد الله الى جارة الكرمل ، وتعلم فيها واجاد مع العربية التركية والفارسية ، وكتب كثيرا في الصحف السياسية والمجلات الادبية منها مجلة « المقتبس » لصاحبها المرحوم محمد كرد علي وقد انشأنها في القاهرة اولا ثم نقلها ، بعد

اعلان الدستور العثماني ، الى دمشق .

كما نشر ابحاثا طريفة في مجلة « النفائس العصرية » وفي « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق وفي مجلة « الزهراء » لصاحبها الشيخ محب الدين الخطيب في القاهرة و « الكشاف » البيروتية ، ولو جمعت مقالات ومحاضرات هذا المؤرخ البحاثة كلها في كتاب ذي اجزاء لكانت منه موسوعة نادرة المثال في مختلف الوانها ومواضيعها ، وتقديرا لقلم هذا المؤرخ الجليل وعلمه انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي ، وابان اقامةالترجمة له في حيفا شارك في الاعمال الوطنية وعمل في التجارة .

وفي العهد العثماني تقلد الفقيد اعمالا في سكة حديد الحجاز لكنه مال الى الدرس والمطالعة وممارسة الكتابة في الابواب التي وجد نفسه مطبوعا عليها ، ولشغفهبالتاريخ الاسلامي وولعه بالادب العربي جمع مكتبة قليلة النظير في فلسطين ومعظمها من الكتب العربية الاسلامية التي عني بها كبار المستشرقين .

وشغل هذا المؤرخ البحاثة مديرية الاوقاف الاسلامية بالقدس ، ومن هنا هانت عليه الاسفار داخل فلسطين ، حتى توسع في الدراسات الاثرية الاسلامية والمسيحية ، ووضع كتبا تطالع اسماءها في خاتمة هذا المقال .

ولما اقتربت ساعة الصفر عام ١٩٤٧ في فلسطين ، واكفهر الجو ، وكان الفقيد مريضا في بيته بالقدس ، وكان بيته قريبا من الحي اليهودي ، شعر بالخطر المحدق بمكتبته فنقلها نجله السيد صلاح مخلص ، بطلب من والده الى دمشق .

من آثاره القلمية : خلف الفقيد طائفة من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة منها :

(١) تاريخ الخليل . (٢) تاريخ صفد . (٣) تاريخ بيت لحم . (٤) اداوت الحرب عند العرب . (٥) الزينة عند نساء العرب . (٦) ملابس العرب . (٧) ابيات العادات . (٨) الاشارة الى من نال الوزارة : تأليف ابن الصيرفي علي بن منجب (١٠٧٠ - ١١٤٧) في الدولة الفاطمية وقد حققه المرحوم عبد الله مخلص وعلق عليه وطبع في مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة عام ١٩٢٤ . (٩) المسلمون والنصارى : محاضرة القاها في احد اندية حيفا ثم طبعت في كراسة بحيفا عام ١٩٢٩ . (١٠) جب يوسف الصديق وقبره : كراسة تضمنت تحقيقات واستنتاجات ، نشرت أولا في مجلة « الزهراء » بالقاهرة ، ثم جردت وطبعت في المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٩٢٩ . (١١) بديعية العميان او الحلة السير في مدح خير الورى : تأليف ابن جابر الاندلسي . (١٢) النرجس وما قيل فيه نظما ونثرا . (١٣) سيرة السلطان محمد الفاتح : نقلها عن التركية .

وفي اوائل عام ١٩٤٨ ، اي قبل ان يجتاح الاعصار الهائل فلسطين العربية ، طوى الردى وجه هذا العالم الجليل ودفن حبر التاريخ والمعرفة في بيت المقدس .

٣ ـ رشدي صالح ملحس

في نابلس العربية ، العروس المزينة بشبانها المثقفين ، الفنية برجالها الواعين ، ولد رشدي ملحس عام ١٨٩٨ ، وتربى تربية دينية وترعرع في بيئة اسلامية محافظة ، ودرس العلوم الابتدائية والاعدادية وقسما من الثانوية في المدارس العثمانية وانهى دراسته الثانوية في سلطاني بيروت .

وقصد رشدي استانبول تطلعا لمستقبل زاهر مضمون تدعمه الكفاءات ، ودخل ـ مدرسة العلوم المالية ـ وتخرج منها ، وكان اثناء دراسته يقضي ساعات فراغه في ادارة مجلة « لسان العرب » (١) لمؤسسها المرحوم أحمد عزة الاعظمي (٢) ويسهم في تحرير بعض مقالاتها وتصريف شؤونها الادارية ، اذ عرف منذ حداثة سنه بميله الى الصحافة .

وفي الآستانة اندمج رشدي في الحركة العربية الحديثة ونشاط رجالها ، وكان في طليعة الشبان العرب الذين بذلوا جهودهم في تأسيس المنتدى الادبي الذي كان موئلا لرجالات العرب وطلابهم .

وفي الحرب الكبرى دعي الفقيد الى الجندية فخدم كضابط احتياط في لواء الجليل بفلسطين ، وكانت الناصرة مقر عمله ، وبعد أن سكنت نامة تلك الحرب الضروس يمم دمشق وأصدر فيها جريدة «الاستقلال العربي» (٣) بمشاركة المرحوم معروف الارناؤوط ، وكانت هذه الصحيفة رائجة السوق .

وبعد ان عصفت رياح فرنسا بالدولة العربية الفتية في سورية عمل رشدي في المنظمات السرية لمقاومة فرنسا فاخرجته سلطات الاحتلال مكرها وعاد الى نابلس عام ١٩٢٢ وفيها اسس « النادي العربي » وشغل رئاسته ثلاث سنوات .

وبعد ان تغلب المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود على المغفور له الملك حسين بن علي وعلى نجله المغفور له الملك « علي » قامت الدولة السعودية وتأسست جريدة « ام القرى » (٤) باشراف المرحوم يوسف ياسين ، ونظرا للصداقة التي ربطت الشيخ ياسين بالسيد ملحس دعي السيد رشدي للاسهام في تحرير هذه الجريدة فوافاه الى الحجاز وتولى زمام العمل فيها وبعد فترة نقل الى

---

(١) صدر العدد الاول من هذه المجلة الشهرية في الاستانة بتاريخ ١١ اذار ١٩١٣ . (٢) كاتب عراقي اسهم في الحركة العربية وتاريخها ، ولد ونشأ في بغداد ، وتخرج بمدرسة الحقوق بالاستانة واصدر بها مجلة « المنتدى الادبي » ثم « لسان العرب » فكانتا تترجمان الحركة العربية في عاصمة بني عثمان ، ولما نشبت حرب ١٩١٤ سجن واوذي ، ثم استقر في بغداد فانشأ مجلة « المعرض » وانتخب نائبا عن بغداد مرتين وصنف كتاب « القضية العربية » في ستة اجزاء وتوفي عام ١٩٣٦ مفلوجا ببغداد . (٣) صدر العدد الاول منها بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ١٩١٨ . (٤) اول صحيفة صدرت في عهد الملك عبد العزيز آل سعود بمكة المكرمة في عام ١٩٢٥

غنوة طائر غريب

أختاه .. يا جزيرة الاحلام
يا زهرة وديعة ترف في ابتسام
يا قطرة الضياء في محاجر الظلام
يا واحة الهدوء في مفازة الايام
يا غنوة ندية تطوف بالانام ..
.. في ليلة مخمورة الانسام ..
توزع الاشواق والغرام
في عالم يحن للاشواق والغرام ..!!

تموت عند بابك الاحزان
ويمحى الشقاء والهوان
يا كعبة الامان من مخاوف الزمان
يا نغمة محبوبة تنساب من « كمان »
يا لمسة فنانة من شاعر فنان
يا منهلا مقدسا يرف في امان
للعاشق الظمآن
يا نجمة رفافة الاضواء للحيران
انا هنا حيران
يا نجمتي انا هنا حيران
اسير في طريقي الطويل
وليس لي سواك من دليل
تنام في رحابك الاضواء
وينتشي الصباح والمساء
يا بهجة الحياة يا رجاء ..

قد كنت مثل طائر غريب
اليفه قد ضل عنه ساعة الغروب
فاصبح الوجود في عيونه كئيب
غناؤه ــ يا غنوتي ــ نحيب
صباحه يلفه الضباب
وروضه ــ في عينه ــ خراب
والحسن ــ حتى الحسن ــ اضحى عنده عقاب
دنياه ــ يا دنياي ــ صارت كلها عذاب
آماله تبخرت واصبحت سراب
عصفورتي .. اني هنا مجير مرتاب
اعيش في الشباب
لكنني لم ادر ما الشباب ؟!
حتى عرفت روضك الحبيب
وحلقت مشاعري في افقه الرحيب
.. سجدت ، انهل السنا من نبعه الرطيب
وارشف الحنين
لعلني امزق الجراح والنحيب
من عالمي الكئب ..!!

ما اجمل الحياة يا ريحانتي .. لو تسمحين..
بلمسة الطيور للغدير
وقبلة الانداء للزهور
وخفقة الانسام بالعبير
ازفها ــ يا منية الغريب ــ
تحية من شاعر غريب
يؤنسه ابتسامك الحبيب
ينور الحياة والدروب
وعمره الجديب ..
ويرسم الآمال والافراح
في عالمي ، بريشة الصباح
ريحانتي .. يا غنوة المطر
ترقرقت في مسمع التراب
فاخضر وازدهر
تحية الخلود .. يا قمر ..!!

القاهرة — البيلي عبد الحميد حسن

الديوان الملكي السعودي مساعدا لرئيس الشعبة السياسية، فرئيسا للديوان الملكي .

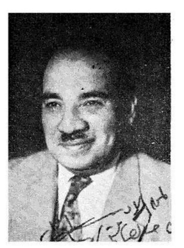
وصف لي اخوان هذا الفقيد انه نبت عصاميا واشتهر بدماثة الخلق ، وعفة اللسان ، ونظافة اليد .

آثاره القلمية : كتب الفقيد رسالة عن المجاهد المغفور له الامير محمد الخطابي خلال حروبه مع اسبانيا وفرنسا ، وخلال عمله في المملكة العربية السعودية طبع في مكة المكرمة الجزء الاول من كتاب « اخبار مكة » لابي الوليد الازرقي ، وعليه حواش وتحقيقات بقلمه ، والحق بهذا الجزء ثبتا تاريخيا يتضمن ما طرأ على بناء الكعبة المشرفة الى آخر مرة انهدمت وبنيت في عهد السلطان مرادالثاني.

وحقق المرحوم ملحس المواضع الجغرافية التي وردت في الشعر العربي القديم وصنف كتابه قاموس الاعلام الجغرافي للمملكة السعودية ولقد اطرى مجهوده هذا الدكتور شارلس ماتيوس ، الاميركي الجنسية ، والاخصائي باللهجات الحديثة غير العربية في المهرة والشحر والظفار، ونوه بعمله هذا وعلمه المؤرخ العالمي الحر الدكتور ارنولد توينبي .

وترك الفقيد مؤلفات لم تطبع وفي الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني ١٩٥٩ توفي اثر نوبة قلبية حادة ودفن في « جدة » .

عمان ــ الاردن — البدوي الملثم



انور الجندي

نـدوة الباقوري

بقلم انور الجندي

* * *

عرفت بلادنا ندوات العلم منذ قديم ، ولطالما برزت من هذه الندوات افكار وآراء كان لها اثرها في تعميـــق الوعـــي وتزكية النهضات فان قضايا الفكر حين تبحث في مجالات برئت من الاهواء وحفت بالنوايا الصادقة وشارك فيها كثير من اهل الفضل ، انما تجيء احكامها صافيـــة عذبـــة .. تكشف الطريق وتضيء السبيل امام الباحثين والعلماء .

وكذلك كانت ندوة الباقوري في خلال السنوات الماضية حين تعقد مساء الجمعة في مكتبة الشيخ المفصلة عن بيته شتاء وفي حديقة الدار صيفا . ويؤمها عدد كبير من اهـــل العلم من امثال المهندس احمد عبده الشرباصي والدكتور أحمد غلوش والفيلسوف مالك بن بني والشيخ عبد الجليل عيسى ولفيف لا يحصى من علماء الازهر واساتذة الجامعات والصحفيين والأطباء والمهندسين . ولا يخلو الامر من عدد من شباب البلاد العربية والاسلامية المثقفين ممن يزورون القاهرة فضلا عن اعلام ووزراء من مختلف الاقطار .

ولم تكن الندوة في الحقيقة ذات طابع مميز ، او تجري في طريق مرسوم وانما هو الحديث يجري فيها حسبمـــا تتجه الاقطار أو تكون المناسبة . فاذا كان هناك زائر مـــن الصين او اندونيسيا او المغرب او السنغال مضى الحديث حول احوال المسلمين في هذه البلاد . وتقاول ثقافاتهـــم واقطارهم ومؤلفاتهم .

فاذا جاء الاستاذ احمد عبده الشرباصي ــ وقلما يتغيبــ فان الحديـــث دائما يدور حول اللغة وعلومهـــا ، والشعر القديم وفنونه ، وحول تحقيق كلمة او عبارة او رأي مما يتطلب البحث طوال السهرة في المعاجم ولسان العـــرب وكتب اللغة ويشترك في هذا البحث الاستاذ محمد حوزه استاذ دار العلوم القديم . وربما جرى البحث حول مسألة فقهية او تشريعية أو رأي المذاهب المختلفة في هذا الامر او ذاك هناك ينبري الشيخ عبد الرحيم فوده فيأخذ جانب الرأي المعارض فاذا كان المجال مجال الحديث في التصوف والروحانيات كان قصب السبق للشيخ سليمان ربيع .

وربما ورد الندوة الشيخ محمد اللطيف دراز والشيخ عبد الجليل عيسى او الشيخ عبد الاخر ابو زيد وكلهم مـــن اساتذة الباقوري . وهناك يجري الحديث عن ذكريـــات الحياة الازهرية في أسيوط والقاهرة . ويتصل الحديث غالبا في ندوة الباقوري بتفسير القرآن او تحقيق اللغـــة وهما الامران الغالبان على أحاديث الندوة .

فاذا ما خرج الحديث عنهما الى الاشخاص قال الباقوري: دعوا مجلسنا تحفه الملائكة فيعود الحديث مرة اخرى الى مجال العلم والفقـــه .

ولم يكن الحديث في اغلبه عن الاسلام وانما كان فـــي الاغلب عن صلة الحياة بالاسلام ومفاهيم الحضارة والمدنية وموقف الاسلام منها . والباقوري في هذه الناحية يحمل طابع المصلحين . على الطريق الذي رسمه الشيخ محمـــد عبده وغيره من المجتهدين والمتحررين من قيود الجمود ، فمن رأي الشيخ أن الاسلام سمح ، وانه يتقبل الحضارة في جوانبها الايجابية ويفتح الطريق امام النهضة وعنده ان باب الاجتهاد مفتوح وأننا لا بد ان ننظر من افاق اوسع ولا ندع الناس يتركون دين الله ، بالتضييق عليهم وقـــد اباح الاسلام الترخص في ظروف الاضطرار ، وكان موقفه من العلم سمحا كريما .

ولطالما بدت ندوة الباقوري في الشتاء اكثر جدية وبدت في الصيف اكثر طرافة ذلك انها في خلال الشتاء حـــين تجتمع في المكتبة الفسيحة الضخمة التي تضم اكثر من ثلاثة آلاف مجلد ، من أمهات الكتب يجري الحديث حول التحقيق العلمي او اللغوي فيكون من اليسير الرجوع الى هذا الكتاب او ذاك ، وربما اتخذ الشيخ ديوانا او كتابا فقرأ فيه ، وربما كان هذا الكتاب ديوان الشاعر القروي الذي يشغف به الباقوري شغفا بالغا ، ويردد شعره في القاء جميل رائع وربما قرأ في كتاب الرافعي وحي القلم ، فاختار صورة جميلة رائعة ، وربما قرأ الاستاذ احمد عبده الشرباصي في كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر فجلا جوانب من هـــذه الحضارة التي قامت بدور خطير في حياة الانسانية ثم لقيت العقوق من بعض الباحثين الغربيين حتى انصفهم لوبون . ولم يغب المتنبي والمعري والبحتري وشوقي عن الندوة الا لماما .

واحيانا يفتتح الباقوري الندوة بسؤال في مسألة من مسائل الفقه او اللغة تكون قد صادفته في قراءاته في الصباح ، ويدع الحديث فيها يجري الى غايته وتختلف وجهات النظر وتنكشف جوانب من هنا او هناك ثم يراجع هذا القاموس او ذاك المرجع ، ثم يعود الشيخ فيلتقط الحديث من حديث فتتلخص وجهات النظر في براعة ودقة ثم يخلص الى النتيجة التي قلما يختلف معه فيها أحد .

ولعله مما يدهش انك تجد في كل اسبوع مؤلفات جديدة ، صدرت في بغداد او تركيا او الباكستان ، وربما قرأ رسائل من هنا او هناك جاءت تسأل عن امر من الامور.

وربما حظي التاريخ ودراسات الاعلام والبطولات بقدر لا بأس به من الاهتمام ولكن تظل اللغة والفقه هما المادتان الهامتان لانهما هما المادتان اللتان يشغف بهما الباقوري ويبرز فيهما . فالغزالي وابن رشد وابن تيميه وابن خلدون وابن القيم تترد اسماؤهم دائما كانما كانوا يحضرون كل ندوة .

ولطالما جرى الحديث حول مؤلفات غربية عن الاسلام او في ترجمة القرآن او الحديث وردت من الهند او اوربا. فلقد كان اصدقاء الشيخ من كل مكان يغمرونه بانتاجهم وآثارهم في الفنون التي يحبها .

وكان الشيخ يقرأ كل شيء . وربما ولى اهتمامه للمؤلفات الغربية عن الاسلام والعرب والجمهورية العربية مهتما بالنظريات العلمية والفكرية الجديدة ليعيش مع الاحداث ويناقش ويستمع الى كل جديد .

اما الندوة في الصيف فهي دائما تحمل طابع الطرافة انها بعيدة جدا عن المكتبة تقوم بين اشجار البرتقال والليمون والمانجو ويتردد عليها الكثيرون في ليالي الصيف الندية والحديث فيها ينساب رقراقا . وربما جاء مقرىء له صوت جميل فقرأ بعض آيات القرآن. واحيانا نسمع شعرا جميلا رائعا . فان الباقوري يحفظ الوفا من المنظوم . فضلا عن شعره هو الذي يقوله احيانا حين تهتز نفسه لذكرى من الذكريات وما حفظت الا قوله في تكريم الرسول الكريم وهي قصيدة طويلة بلغت اكثر من مائة بيت :

هو الرحمة العظمى تطلق غيثها   ففي كل قطر سحائبها قطر
له المجد لا يبلى على الدهر ذكره   اذا حجبه المفتون او جهل الغمر

ولا يصل الحديث الى روعته الا حين يتحدث الباقوري عن اطراف من رحلاته ومشاهداته حيث طاف باندونيسيا والصين والهند والباكستان وبلاد العرب والاندلس وهو الذي ألم اذ ذاك باحوال الامم وتطورها ونهضاتها . فاذا استشهد بامر من هنا او امر من هناك عرفت مدى اتساع افق الرجل الذي اتيح له ان يمضي سنوات طويلة في الرحلة بين اقطار العالم الاسلامي . ثم اتيح له من بعد أن يرحل في اسفار التاريخ واللغة والفقه والتفسير والحديث سنوات ايضا . فاذا بهذا المزيج من القراءة والخبرة يكون تجربة ضخمة وعصارة شهية لرجل نشأ في الازهر اولا ولكنه استطاع ان يحلق في آفاق المعرفة وان يعيش تجربة اليقظة والنهضة . ويشارك في ثورة الازهر سنة ١٩٣٥ ويرأس اتحاد الازهر ويعمل في عديد من المجالات الوطنية حتى اختارته الثورة وزيرا للاوقاف في مستهل عهدها فاتيح له ان يعمل ويتكلم . وهو الخطيب والكاتب في بلادنا وخارجها ثم لم يلبث ان اتيح له ان ينصرف الى الدراسات والابحاث ويلقى بالآراء والناس في ندوته وخلوته فاذا هو مفكر من كبار المفكرين . يعالج الامور في رفق واناة . وينظر الى القضايا في دقة وحنكة وسلامة بصيرة ونقاء ضمير . صادق الايمان بثورتنا الكبرى واعمالها الخالدة. قوي اليقين في دور هذه الامة العربية الاسلامية .

ومع ذلك فان الباقوري لم يكتب كثيرا ولطالما رغب زواره ان يكتب كتابا ضخما في ايقاظ المعاني الروحية وتصحيح بعض المفاهيم الفكرية والاسلامية على النحو الذي يتحدث به . فكان يعزف عن الكتابة عزوفا . ولكن ربما استطاعت احاديثه في ندوته ان تصبح مجلدا كبيرا من احاديث الرأي والفكر والادب والثقافة غير ان هذه الاحاديث ايضا مضت . وان خلقت في كثير من نفوس من حضروها جذوة من اليقظة وعمق الفهم والسماحة لا تنطفىء . وما أظنه كتب في خلال آجازته هذه الا مقالة في وفاة المرحوم صلاح سالم . ولكن هذا لا يمنع من انه قطف كثيرا من ذخائر التراث العربي الاسلامي واودعها جذاذات يستطيع ان يرجع اليها اذا اراد . واليوم ينفتح امام هذه الشخصية الذكية مجال جديد . هو مرحلة ثالثة في حياته الفكرية ذلك هو مجال العمل الجامعي والتربوي الذي ارتبط به في اول الشباب . (١)

ولطالما رغب كثيرون من رجال الصحافة الى الباقوري ان يكتب مذكراته وذكرياته وينشرها في صحف التعاون وظل هذا الأصل قائما دون تحقيق . والذين يعرفون الباقوري يعرفونه محدثا كما يعرفونه خطيبا ولكنه قلما يتخذ من الكتابة وسيلته الى الافضاء .

ولقد كان في الامكان ان تكتب ذكريات طفولة الباقوري من خلال ندوته فلطالما تحدث عن مطالع هذه الحياة في باقود من اعمال محافظة اسيوط في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٩ ثم تردده على المعهد الديني في اسيوط وقراءاته وتطلعاته في هذه المرحلة وقد انغرست في نفسه بذور العمل الذي اتجه اليه فهو الخطيب الوطني الشاعر الذي يشارك في تأبين امين الرافعي بقصيدة عصماء في هذا السن الباكر . ثم هو المشغول بامر ترجمة القرآن او ترجمة معانيه وكانت من الاحداث التي عزت عالم الفكر والصحافة ثم هو يرد القاهرة عام ١٩٢٩ منميا فيها حياة الطالب الازهري . فما يلبث ان يتصل بالهيئات الفكرية والثقافية ويستمع الى عديد من المحاضرات والخطب . ويتصل كثيرا بجماعة الشبان المسلمين ويتعرف الى عبد الحميد سعيد ومحب

---

(١) الباقوري الان يلي منصب مدير عام الجامعة الازهرية .

ثـغـر

●

ثغر بحجم الفستقه سبحان رب نسقه
هو برعم متفتق او وردة مفرورقه
ضحكاته الحان طير في الشفاه مزقزقه
قبلته فاذا الشفاه على الشفاه معلقه
ورشفت خمرة ريقه مسكية ومعتقه
فنايت عن افق الجمود وعن حدود ضيقه
وقضيت في ملكوته لحظات حب شيقه

* * *

وقد اشرأب معربدان الى العيون المحدقه
في رأس كل منهما كرة بقد البندقه

حلب
عبد الله يوركي حلاق



الدين الخطيب وعبد العزيز الثعالبي ويمضي في طريق الثقافة الوطنية معهم . فاذا به ابرز قادة ثورة ١٩٣٥ في الازهر . وفي هذه الفترة التي يحسن الحديث عنها الشيخ عبد الرحيم فوده كان دوره كبيرا ، الخطيب الجهير الصوت ، البليغ العبارة ، ثم هو منشيء المنشورات السرية التي كانت توزع هنا وهناك فتسير القلق ، وهو المثالي صاحب القيم فما ان علت صيحات الازهريين باسم المطالب حتى صرخ الباقوري قائلا : لا ليس للازهريين مطالب . انما نحن نجاهد لحماية كرامة الوطن والدين والعلم . ونجحت الثورة وحققت اهدافها . ولمع اسم الباقوري واوشك ان يسافر الى اوربا ليحرز اجازة الدكتوراه غير انه اثر ان يبقى في مصر ليواصل العمل الوطني والثقافي والاسلامي .

وجاءت الحرب العالمية الثانية ليصبح الباقوري من السجناء في معتقل ماقوسه في المنيا وتوفي والده وهو في السجن فلم يسمح له بتوديع جثمانه . وظل الباقوري مرتبطا بالعمل الوطني والسياسي والاسلامي في مجال واسع من الهيئات والاحزاب والجماعات وهو في كل هذه المراحل واضح الشخصية له طابعه الاستقلالي الخالص .

حتى جاءت الثورة ، فوجد فيها امله الذي كان يرقبه على مدى الاعوام، فآمن بها وصرف مشاعره وجهده وقدراته اليها . ثم كانت رحلاته واسفاره واعماله المختلفة في مجال الوطنية والثورة والاسلام . فلما بلغ الخمسين من العمر كان له ان يلجأ الى عزلة روحية عكف فيها على تجديد نفسه ومشاعره بالدراسات الاسلامية والعربية والتاريخية منها العقائدية والفقهية ، في مجال اللغة والفقه والسنة والتفسير على نحو عميق اشرقت نفسه خلالها اشراقة الايمان والسمو . وتكشفت له ابعاد عميقة لاعمال جديدة من اجل العروبة والاسلام .

القاهرة
انور الجندي

اللغة العربية في جمالاتها

بقلم جبران جبور

* * *

اشرت في القسم الاول من باب (اللغة العربية في جمالاتها) ان الكلام العربي باعتبار فصاحته وبلاغته اربعة اقسام في حقيقته ومجازه .

وسأبحث في القسم الثاني من هذا الباب في الكلام العربي الممات والمنقول والتصويري المنطوي في موته ونقله وتصويره على جمال ... وزيادة في الايضاح اقول : ان من الكلام ما اهملت حقيقته ومجازه كالرت والقب وقد استعمل مجازهما الاول بمعنى الباسل المقدام والثاني بمعنى الرئيس والملك . ومنه ما اهملت حقيقته وبقي مجازه كالجذع او (الجدع) عند العامة في مصر فهي تستعمل للاطراء ومعناه من البهائم قبل الثني ومن الناس الشاب الحدث . ويقال الدهر جذع ابدا اي شاب لن يشيخ .

وهناك ما بقيت حقيقته ومجازه كقولهم للشاعر الفذ الفحل قال ابو الطيب المتنبي :

ما كل من طلب المعالي نافذا   فيها ولا كل الرجال فحولا

والقسم الرابع والاخير هو ما اهمل مجازه وبقيت حقيقته وقد سبق ان مثلت عليه وكقولهم لعمرو بن معدي كرب سيد العرب الثور كما لقب حمزة بن عبد المطلب بالجمل . ولا يزال الثور لقبا للسيادة حتى اليوم في السودان على اننا من وجه آخر نرى قوما لا يستكرهون ان يلقبوا بالسرحان وان كان ذلك لقب الذئب . ولا تخلو جاهلية من جاهلية الامم الراقية من ذكر مثل هذه الكلمات وقد حذف الافرنج امثال (بوب Pope) الانكليزي هذه التشابيه من الياذة هوميروس في ترجمته (وساحدثك عن هذه اللغة في الالياذة في موضوع قادم اقارن فيه بين هوميروس وشعراء الجاهلية) .

ومن الكلام الممات ايضا وقد اهملت حقيقته ومجازه معا اسماء ايام الاسبوع ، فقد استعملوا لفظة اول ، لليوم المعروف بالاحد واهون ، اطلق على يوم الاثنين ، وعرف يوم الثلاثاء عندهم بجبار ، وقد سموا يوم الاربعاء دبار ، ومؤنس هو يوم الخميس ، وعروبة هو يوم الجمعة وشبار يوم السبت . هذه هي الايام العربية الاولى التي سبقت ايامنا .

وقد ذكرها المسعودي في كتابه مروج الذهب قال الشاعر :

اؤمل ان اعيش وان يومي   باول او باهون او جبار
او المردي دبار فان افته   فمؤنس او عروبة او شيار

والجمال في اللغة ان هناك اياما مؤنسة يتفاءلون بها ويتيمنون كيوم مؤنس الخميس واياما يتطيرون منها ويخافون كيوم دبار المردي المميت . ولا نزال نحن نتبعهم في تطيرهم وتيمنهم في ايامنا لذلك قال احد الشعراء المحدثين متيمنا بيوم الخميس يوم مؤنس في الاصل :

وفي يوم الخميس قضاء حاج   ففيه الله ياذن بالدعاء

ولو سمحت لي اداب اللغة لغيرنا في علم الصرف والنحو الاسماء الخمسة لاقول لك انها الاسماء الستة في المطولات والاراجيز . وقد حذف الاسم السادس منها حرصا على التهذيب والادب ... وكما يطيب لي أن اعرف باللغة التي مات مجازها وحقيقتها معا كذلك انتقل الى ما نقل من الكلم من وضعه الاول الى وضع ثان عند المحدثين واذكر في طليعة اولئك الشيخ الكبير العلامة ابراهيم اليازجي الذي نقل كلمات السيارة والطيارة والهاتف وغيرها من حقيقتها التي وضعت لها في الاصل الى حقيقة اخرى تمشيا مع التطور الحديث في ميدان رقي الشعوب وتقدم لغاتها . فقد جاء في القرآن الكريم سورة يوسف قوله تعالى : « وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون » والسيارة لغة هي القافلة : وكلمة الطيارة استعملها ابو القاسم الحريري في مقاماته قال : فالقى نفسه في طيارة وعبر الى الجانب الغربي وهي نوع من القوارب معروف آنذاك . والهاتف والهواتف وقد ذكرها المسعودي في مروج الذهب قال : فاما الهواتف فقد كثرت في العرب واتصلت بديارهم وكان اكثرها ايام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي .

فتأمل كيف نقلت هذه الالفاظ وكأنها اخترعت اختراعا لسلامة ذوقها ودقة تعبيرها ...

ولو سبرنا غور هذه اللغة لوجدنا فيها الفاظا وتركيبا تغنينا بجمالها عن الكثير من الغريب فلا نتهمها بالافلاس. ومن تأمل في القاموس لفظة تنور مثلا وعلم ان معناها الرؤية عن بعد (تنوروا النار من بعيد) تبصروها ومن قرأ بيت امرىء القيس :

تنورتها من اذرعات واهلها   بيثرب ادنى دارها نظر عال

من راجع هذه المراجع ومن اطلع على لفظة (تليفجن) الانكليزية وعرف أن معناها الرؤية عن بعد لما تردد معي في استعمال لفظة المتنور (بفتح الواو) التليفزيون . بل لعرف ان التلفزة والرؤية عن بعد والتنور كلها بمعنى واحد .

ومن جمال اللغة عندهم انهم يسمون جواريهم وغلمانهم باحسن الاسماء وابناءهم باقبحها كقولهم لغلمانهم جوهر ، ومرجان ، ولابنائهم كليب وذؤيب .

سئل اعرابي لماذا تسمون عبيدكم باحسن الاسماء وابناءكم باقبحها ؟ فقال عبيدنا لنا وابناؤنا لاعدائنا ويعني انهم حرب على اعدائهم ...

ومن جمال الالفاظ في اللغة العربية ان تقول للراس

الصورة المسحورة

●

طفل رضيع ضاحك ابدا   يرنو الي بوجهه النضر
علقته فوق الجدار على   عهد الشباب الزاهر العطر
ومكثت ايامي اشاهده   وارى به امنية العمر

* * *

ومضى الشباب كانه لجج   تهوى الى اعماق منحدر
والطفل يضحك حين ابصره   فيزيد في همي وفي فكري
اتراه يشعر بي فيضحك لي   ام قد كبرت ورابني بصري

* * *

وافقت امس من الكرى تعبا   فكانني أقبلت من سفر
متذكرا ما مر من عمري   فوق الطريق الموحش الوعر
متطلعا لثمالة بقيت   في الكاس احسوها بلا كدر
وبجانبي عرسي ممددة   والنوم يحملها الى القمر
حيث الصغار البيض قد ملأوا   ساحاته كروائع الزهر
فترى لها من بينهم ولدا   زاهي المحيا اشقر الشعر
فتضمه وتشمه فرحا   وتحس فيه بنشوة الظفر
ويظل يضحك وهي ترضعه   ويمص ثدييها كمعتصر
حتى اذا ما استيقظت رجعت   للارض تشكو خيبة العمر
وتعود تكلؤني وأكلؤها   وتظل من امري على حذر
تخشى هواجس يعترضن لها   في الصبح والامساء والسهر
سود هواتف ماعدون لها   ما في فؤادي من هوى الاخر
يا بؤسها من زوجة عقمت   قهرا وترجو رحمة القدر
غيري معذبة ويعجبها   صبري الطويل ولات مصطبري
ويسرها عسري ويرعبها   من ان تصاب بضرة يسري
واظل ارحمها وأكلؤها   من غير ما شكوى ولا ضجر
وبمهجتي نار مسعرة   من انني غصن بلا ثمر

واغرورقت عيناي من حزن   بالدمع ثم جرى على الاثر
ونظرت ناحية فطالعني   وجه ، الرضيع الضاحك النضر
اتراه يشعر بي فيضحك لي   ام قد كبرت ورابني بصري
ورأيته يهتز مضطربا   متلفتا من قبضة الجدر
ويمد لي كفيه مبتهجا   وينقل القدمين في حذر
في عمره الثاني ويدهشني   اني اراه مسرع الكبر
حتى استوى مثل ابن عاشرة   يمشي بلا وهن ولا خور
ودنا الي ولست احسبه   اياه لولا صحة النظر
ام أن بي مسا يعاودني   ام قد كبرت ورابني بصري
لا شيء بي مما احاذره   غير الهموم السود والفكر
اني لابصره واسمعه   والحق ليس ككاذب الصور
أبتاه اني جئت معتذرا   اولست طول الدهر منتظري
قد عوقتني عنك عائقة   فناى المزار وطال بي سفري
ثم انحدرت اليك يا ابتي   عجلان عبر عوالم أخر
فضممته للصدر مبتهجا   وفرحت حين اتى على قدر
وشممت في انفاسه نفسي   ولمست فيه حرارة البشر
أبنتي شوقي لا يقاس به   شوق الثرى الظمآن للمطر
ابني اني قد جررت على   نفسي ونفسك اعظم الضرر
لا حبستك ظالما وأبى   دهري علي سعادة الاسر
وبكيت من فرح به وبكى   بمدامع تنهل كالدرر
لكنه يرتد مبتعدا   عني ويرجع مفرط الصغر
ابني لا تبعد عن النظر   يا خير منتظر ومدخر

* * *

وغدا كواحدة من الصور   وتجمدت عيناه كالحجر
عينان قائلتان لي ابدا   لا شيء يمحو صفحة القدر

حلب   **عمر ابو قوس**

بطيخة وهو استعمال معروف عند عامة اللبنانيين . قال ابو دلامة :

الا لا تلمني ان فررت فانني   اخاف على بطيختي ان تحطما
ولو انئي ابتاع في السوق غيرها   وجدك ما باليت ان اتقدما

ويعجبني قولهم في العناق : عانقته عناق اللام للالف قال الشاعر :

رأيت شخصك في نومي يعانقني   كما تعانق لام الكاتب الالفا

والموليا المعروفة بابي الزلوف هي المواليا او نوع من الشعر بحره البسيط اخترعه اهل واسط. فاقتطعوا من البسيط بيتين وقفوا شطر كل بيت بقافية تعلمه عبيدهم وصاروا يتغنون به في رؤوس النخل وعلى سقي المياه وكانوا يقولون (يا مواليّا) ثم استعمله البغداديون فلطفوه حتى عرف بينهم وشاع بعد نكبة البرامكة في عهد هارون الرشيد الذي حرم على اتباعهم ان يرثوهم بشعر موزون فصيح فقامت جارية وانشدت :

يا دار اين ملوك الارض اين الفرس   ايـن الذين حموها بالقنا والترس
قالت تراهم رمم تحت الاراضي الدرس   وسكوت بعد الفصاحة السنتهم خرس

وكانت تردد يا مواليا . هذا هو اول مواليا في التاريخ كما نسميه اليوم شروقي . ولا يزال غناء المواليا في حقيقة ايقاعه وانغامه وتعدد اوزانه وقوافيه رثاء حتى اليوم اشبه برثاء تلك الجارية اولئك البرامكة ولو نظم لغير فنون من فنون الشعر . . .

كفرحاتا ــ لبنان   **جبران جبور**

لم اكن اعلم ان ابا منصور هو حكواتي الضيعة ، فلقد تغيبت عن الضيعة قبل ان اعرف وجوهها ، ولئن كنت اعرف ازقتها حاراتها . لقد بعدت عن الضيعة منذ ذلك المساء الذي فرك فيه ابي اذني وقال ، والله سأدخلك ايها الشقي مدرسة داخلية لا تعود منها الا وانت نظيف اللسان ، كفاك من معاشرة ابن هندومة وابن « ابو مشحوذ » !..

منذ ذلك اليوم الذي ما تذكرته الا ويدي فوق اذني احميها واتوجع ، غبت عن ضيعتي الجميلة ، وما غيبني عنها الا لساني الوسخ ...

مرات كثيرة ، وانا في المدرسة ، ولاول مرة اغادر اهلي ، كنت اقول في دخيلة كياني ولدت اخرس اللسان كأبن العموري ، ليتني كنت كذلك لما خنقتني عنتريات الناظر في حوش الكمنليك ، ولما امسكت انفاسي في عز الحر ، لئلا يحصيها علي الاب المدير فيفرض عليها ضريبة الركوع وجها لوجه مع الحائط الاصفر !..

ما علمت ان ابا منصور هو حكواتي الضيعة الا عشية يوم من ايام العطلة الصيفية التي كنت اعود فيها الى التفرس بوجوه قريتي ومعالمها ، فاضيف الى دائرة معارفي اشياء جديدة غبت عنها بداعي لساني هذه الكرة اللحمية التي يقول الناس عنها انها نظفت وتعافت في بهمة مستشفى المدرسة وخشونة الاب المدير والاستاذ المناظر ، كنت اتمشى على السطح بعد ان تسللت اليه عن طريق سطوح الجيران ، والسطوح في القرية لشدة تقاربها ، تقدر ان تجتازها دونما صعوبة فكثيرا ما يصافح القروي جاره من الشباك لمجرد ان يفلت يده من وراء ظهره ويحركها باتجاه انفه ليمسك الجهة المقابلة ويتبارك بالتحيات المتبادلة .. كنت اسير على طول السطح ، ذهابا وايابا ، وكنت اخشى ان اسقط الى الشارع الضيق ، لولا اضواء هذا القمر الصغير الذي هو وزارة اقتصاد في الجبل ، وزير مال يحرص على الخزانة ، فبفضل انواره تطفأ الانوار على السطيحات ، وتطيب الحكايات والمسامرات تحت العرائش ، كل الناس خرجوا تلك الليلة الى سطيحاتهم ، حتى هذه الارانب الغبراء التي ربتها لنا امي على السطح خرجت من علبها تسير ازواجا وتتسامر زرافات زرافات ... وتحتي في الشارع المحشو حيث بعض من بقايا الظلام ، كومة من الناس اجتمعت في حلقة حول جارنا ابو منصور حكواتي الضيعة ليكمل لهم حكاية الامس ولينقذ لهم عنترة من الاسر ...

حكواتي الضيعة

بقلم نصرت توفيق خريش

تلك كانت اول مرة اتعرف فيها الى وجه « ابو منصور » حكواتي الضيعة العائش على لسانه .. القابع في عباءته ... السيد السند الذي يقرأ مكاتيب القوم ويرد عليها ، والكل يطلب رضاه ويدعو له ، فقلمه الغزار حنن القلوب البعيدة وانهالت على القرية الحوالات المصرفية ..

اجل انه الفاتح ، فتحها على الجميع وما هذه المكاتيب الموكرة التي يحملها موزع البريد الا دليل على فتحه المبين .

ابو منصور حكواتي الضيعة هو فاتح ابواب البحر . « الله يحنن على كل الناس يا رب » بهذه العبارة كان يستهل قراءة المكاتيب قبل ان يفضها



من غلافاتها ، وكان حريصا على فتح المظروف بحيث يمزق الغلاف من احد اطرافه حفاظا على العنوان ، وتأمينا لسلامة الجواب .

وكبر ابو منصور ... وشاخ ... وبقي الوحيد في القرية ممن لا يوازيه في العمر احد ... وكأن الزمان اشفق على ابناء القرية فأمد بعمره ليعطيهم من حلاوة لسانه احاديثا مسلية ، ولينعم عليهم من تحنان قلمه خيرات تأتيهم من وراء البحر!.

واليوم وبعد غيابي مرة اخرى ، عقب رجوعي ، وجدت ان الليل في الجبل ثقيل وطويل ، لا لشيء ، بل لان ابا منصور ، الحكواتي الظريف قد مات وانطفأت حكاياته ، وغابت امسيات السمر عن السطيحة الجارة ،ولكن ماذا ترك لنا ابو منصور، رحم الله نفسه ، غير الحكايات والامسيات ؟!.. الغني يترك الغني ، والفقير يلد الفقير ، والذكي يطلع اولاده اذكياء ، والاغبياء اباؤهم اغبياء ، فكثيرا ما تتوارث صفات الوالدين .. نعم ماذا ترك لنا ابو منصور ؟ سؤال طرحته على نفسي غير مرة فلم الق له جوابا الا ما رأيته في دار المرحوم « ابو منصور » :

في الشقة الاولى شاب يعمل منجدا ، يندف الصوف بالقوس ، يعمل نصف نهار ، والنصف الباقي يقضيه بصيد العصافير ، في خراج القرية ، ليزيل بالهواء الطلق ما علق بصدره من قذارات القطن المندوف !. هكذا يعلل ، وهكذا يقول ، بعد أن يعرفك بنفسه انه « فواز » ابن المرحوم « ابو منصور » ! ..

سألت « فواز » مرة ، ألم يخلف ابوك سواك ، قال بلى ، في الشقة الثانية اخي « اسطفان » ، وكمثل من يبحث عن شيء مفقود ويجده ، ركضت الى « اسطفان » ودققت الباب حتى كل متني ففتح شاب على وجهه غبار الاموات ، وكدت ارجع ، الا انني سألته هل انت « اسطفان » ابن المرحوم ابو منصور ، قال نعم

بـدر شاكـر السيـاب

●

يا حائر النفس في بحر من الفكر   قد ابت بعد طويل البحث بالظفر
ظللت تضرب في آفاقها قلقا   وعامل اليأس في جنبيك والضجر
ذو العقل يشقى اذا كانت مطامحه   سباحة بمسير الشمس والقمر
يظل يبحث في دنياه عن مثل   عليا . غدت بسناها بغية البشر
من غير شاعرها المفتون يطلبها   في كل سطر من التاريخ والسير
قضى الليالي اليف النجم فازدهرت   امجاده الزهر في غر من الصور
قالوا شططت وما في الرأي منشطط   وانما سعي فنان ومبتكر
فالشاعر الحر تستهويه اودية   يرى بآفاقها ومضا من الفكر
ومض يرى فيه امجادا لموطنه   وبينات من الآيات والسور
يا بدر قد كنت في اوطاننا نغما   يوزع الحب في الصحراء والحضر
وهبت قلبك للفصحى . وكنت لها   تجود من موطن الالهام بالدرر
ورحت في غفوات الليل ملتمسا   در المعاني برغم الجهد والسهر
وثرت ضد قوى الطغيان منفجرا   تطالب القوم بالشورى . بلا حذر
والشاعر الحر لا يرضى مهادنة   في صالح الشعب رغم الضيق والكدر
ضنوا عليك بما تهوى وليتهمو   ضنوا على الفكر بالعدوان والضرر
فهمت في فلوات الارض مفتقرا   الا الى الصبر والايمان والفرر

وصرت ترسل الحانا مفردة   يزهو بها الفكر في الآصال والبكر
يحدوك للعرب اخلاص قد اتقدت   منه الحماسة ضد الظلم والغير
وقفت كالطود لا ضعف ولا خور   وهل ينال العلى -يوما- اخو خور
وفي كفاحك للانسان مفخرة   طلعت فيها طلوع البدر . فافتخر
ارض العراق فقدت اليوم نابغة   من النوابغ ملء السمع والبصر
فبدرك الشاكر السياب قد عصفت   به المقادر لم تترك ولم تذر
اودت بجسم نحيل هده مرض   لولا التصبر لم يخطر ولم يسر
ارض العراق وهذي لوعة صدرت   من الكويت سلي قلبي عن الخبر
ففي الكويت قضى السياب رحلته   واسلم الروح بين الصحب والسمر
ودوا لو انهم يفدون شاعرهم   لولا القضاء ولولا منتهى العمر
لكن بدرا وان ضم الثرى يده   يظل يهدي المعالي يانع الثمر
فالجسم للارض . اما الروح باقية   على الزمان تبث النور في العصر
وروح شاعرنا الصداح طائرة   في ساحة الخلد ذات الماء والشجر
وسيرة الشاعر الوهاب خالدة   تمهد السبل للطماح في السحر
يا بدر مرحى فانت اليوم رائدنا   في عالم الفكر والآداب . فازدهر

سفارة الكويت ـ تونس   **فاضل خلف**

وتركني ادخل الغرفة ، فيما راح هو يتابع الدق على عود ذي اوتار نحاسية براقة ، وكدت اضحك لو لم آسف ، عندما قارنت بين وجه العود ووجه اسطفان ... فالعود بصحة جيدة ، واسطفان كمن نجا من حادث اصطدام، الا انه تنهد وعاد يداعب الاوتار ليبعث انغاما شجية ... ورأيت شيئا من المرح يطفو على وجهه عندما رآني انصت الى عوده ، والهو بالاستماع اليه ، وكأن هذا الايناس اضاء المكان حوله وحمر خديه بالعافية !... فتابع يدق ورفعت اصبعي لاتكلم فضحك ، ثم نظر الي نظرة عزيزة واشار الي بعدم الكلام.. غير انه لم يأمر طوال ساعة كاملة ، ولم اقاطعه ، بل صمت ليستكمل هبوط الوحي ... ولما وجدت ان الوحي طال !.. استنهضت نفسي وخرجت واذا بجمهرة من الشباب تجمعوا في الشارع يضحكون علي.. فتساءلت لماذا ؟ فاقترب اكبرهم مني وقال : اسطفان مجنون . قلت ولكن اخوه العاقل فواز لم يعلمني بذلك ، قال فواز نصف مجنون .

وتابعت طريقي .. وتواريت في الشارع الضيق ... شاكرا الله على سلامة خروجي من دار ابو منصور ، مرددا في نفسي :

سبحان من يوزع العقول على الناس! المرحوم ابو منصور كان كومة عقل (مسكين ذلك الحكواتي) لم يخلف الا انصاف الرجال !..

عين ابل ـ لبنان   **نصرت خريش**

التفوق الحضاري للمسلمين في صقلية

بقلم يوسف حسن نوفل

* * *

لم يتوان المسلمون عن ممارسة ابداعهم الفني في مجالات شتى منذ عهد ابراهيم بن الاغلب الى أسد بن الفرات الذي قاد اسطولا في منتصف شهر ربيع الاول ٢١٢ هـ ليفتح بلرم ولتصبح صقلية في ايدي المسلمين ومن يومها وقناديل الفكر تسخو باشعتها لتبدد سجف المظلة التي صنعتها العصور الوسطى .

وعلى الرغم من ان صقلية شهدت تنافسا بين العباسيين والفاطميين كان من نتائجه انتقال الحكم من يد الاغالبة الى بني ابي الحسين الكلبيين ، فقد نشطت شتى القطاعات العمرانية ، والثقافية ، مع هدوء وأمن اجتماعيين عادوا على البلاد بالتقدم الحضاري والنمو الفكري مما مهد لصقلية أن تتزعم حركة فكرية تنافس مثيلتها في الاندلس، ومصر والقيروان ، بل قدر لها احيانا ان تحتل الصدارة بالنسبة لسائر المراكز الاسلامية حتى ليقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون :

« ان ما حققه العرب في وقت قصير من المبتكرات العظيمة لم تحققه امة ... وانهم انشأوا دولة تعد من اعظم الدول التي عرفها التاريخ وانهم مدنوا اوربا ثقافة واخلاقا » .

وعلى الرغم ايضا من تعدد الاجناس التي عايشت هذا العمر الحافل من مسلمين : شرقيين وغربيين كان منهم الشامي ، والسوس ، والباغاني ، والكلبي والقيس والكتامي واللواتي والبربري والفرس والزنجي . ومن صقليين واغريق ولمبارديين ويهود على الرغم من ذلك فقد توحدت الانطلاقة واجتمعت الوثبة والتقت الطفرة ، يضاف الى ذلك ان صقلية كانت منطقة عبور ثرية لكل ما انتجته القرائح العربية فتيسر للثقافة الاندلسية القيروانية والبغدادية والمصرية ان تعبر عن طريقها .. فقدر لصقلية ان تنمي الرصيد الحضاري للمسلمين ، وداعبت انامل المسلمين الصخر لتحيله الى قصور جميلة فتجلى ذلك في المساجد واذا كان ما تبقى من مباني العرب في صقلية قليلا الا انه يضم بين جنباته ملامح الفن العربي الذي كان مدرسة فنية قائمة بذاتها تجمع الى الاناقة براعة اللمسة وفنية الشكل . وكان من اشهر تلك الآثار قصران هما : قصر القبة وقصر العزيزة وهما قرب « بلرم » . وحين نطالع ما يكتبه الادريس في وصف بلرم مشيدا بفخامة قصورها ، وكذلك ما كتبه غيره من مؤرخي العرب مثل ابن حوقل ، وياقوت والقزويني نحس بشيء من المبالغة لكن ذلك الاحساس سرعان ما يتلاشى حينما ينضاف الى ما قاله الادريس ما تحدث به الراهب ثيودور حيث اشاد بطريقة التزيين بالرخام الثمين والفسيفساء واحاطة ذلك كله بالرياش الواسعة الحافلة وقد حدث ان اسر ثيودور في اثناء حصار سرقوسة (٧٧٨م) ونقل الى بلرم فاتيح له مشاهدتها عن كثب فلم يسعه الا ان يمدح قصور هذه المدينة ومساجدها .

وسرعان ما اقتبس الاوروبيون من الفن الاسلامي بصقلية وخاصة طريقة تخطيط الواجهات في المباني الرخامية ، وكذلك مآذن المساجد ، وابراج النواقيس التي اتخذت في كنائس ايطاليا في عصر النهضة اشكال مآذن المساجد والتي نقل عنها « دن » ما صمم من ابراج عند ترميم ثم اعادة بناء كاتدرائية القديس بولس في لندن . وانتقل التأثير الى بيزا ، وجنوا ، وفلورنسا وغيرها من مدن ايطاليا حتى ان اسماء القلاع كانت تبدأ دائما بلفظ « قلتا » أي قلعة . ويؤكد ذلك (ريبل) الذي يقول : ان العرب حملوا الى صقلية فنونهم وقناطرهم العالية الجميلة ونقوشهم من المقرنصات والقاشاني ذي الميناء الرخامي الملون .. وفي الصفحات القديمة حيث تؤرخ الكتب العربية للآثار الاسلامية نجد صفة الجامع الاعظم في بلرم : « تغرب عن الاذهان لبديع ما فيه من الصنعة والغرائب المفتعلة والمنتجة والمخترعة ومن اصناف التصاوير واجناس التزاويق والكتابات » . ولعل من بواعث الدهشة ما نعلمه من ان مساجد بلرم كانت تنيف على ثلاثمائة مسجدا حتى ان ابن حوقل ــ المتحامل على مسلمي صقلية ــ يقول « ولم ار مثل هذه العدة في بلد من البلدان الكبار على ضعف ساحتها ولا سمعت به . »

اما المجال الثقافي فتشمخ فيه صقلية عملاقة آلاقة ولعل اصدق ما يقال في هذا الصدد ما ذكره « فيليب حتي » : « وعلى الاجمال فان صقلية تعد ثانية بعد اسبانية من حيث الدور الذي لعبته في نقل الثقافة الى الغرب ، ولكن دورها دون شك يفوق الدور الذي لعبته سوريا زمن الحروب الصليبية » .

وتوافد عليها الراغبون في الترجمة مثل (اديلارد اوف باث) الانجليزي الذي سافر الى صقلية ليعمل على ترجمة الكتب الرياضية والعلمية ... ذلك ان المسلمين هناك كانوا يمسكون بطرفي حضارتين باعد بينهما الزمن : حضارة قديمة ظلت مجهولة امدا طويلا وحضارة حديثة يمكن القول انها التراث الحي للمسلمين .

وقد ساعد انتشار صناعة الورق وشهرة صقلية به على كثرة انتاج الكتب المشهورة في المشرق والمغرب العربي ونتيجة لهذا كثر المتعلمون وصار الشعب يعرف القراءة والكتابة في الوقت الذي كان ارفع الناس مكانة في اوربا لا يعرفها .

وتكونت المكاتبات العامة والخاصة على نحو ما كان معروفا بالاندلس ابان نهضتها الاسلامية حتى لقد وجد من

ذوي الدخل الضئيل من كان يحرم نفسه جيد الطعام وغالي الثياب ليتمكن من شراء الكتب كما حدث للقاضي « عبد الحق » الذي باع حوائج داره ليشتري كتاب «التقريب» .

وقد كان من السهل ان ترتحل الكتب من « القيروان » الى صقلية ولهذا فليس ببعيد ان تكون كتب العسكري والرماني قد عرفت هناك . وكما صنعت صقلية في العهد العربي صنعت ايام النورمان واستوردت الكتب من الخارج مثل كتب المسعودي واليعقوبي والجيهاني وكتاب الجغرافيا لبطليموس والمجسطر .

ودخلت اليتيمة للثعلبي صقلية وكذلك المدونة والموطأ وديوان المتنبي ودواوين شعراء المشرق وعرفت صقلية كتاب : مقدمة ابن بابشاذ ، وادب الكتاب لابن قتيبة والعمدة لابن رشيق الذي اختصره فيما بعد احد الصقليين ، وكذا كليلة ودمنة .

وانتصرت اللغة العربية وعاشت في الاثار والنقود وفي بعض الالفاظ الصقلية والايطالية وما تزال بعض الاماكن بصقلية تحمل اسماء عربية ولا سيما اسماء القلاع والمراسي والشوارع . وظهرت اللغة العربية في الالقاب مثل : امير الامراء ، والقائد . وفي دائرة المعارف (المجلد ١٠ ص٧٤٢) والصقليون ... يختلفون لهجة عن الايطاليين فان في لغتهم كثيرا من الكلام العربي » .

واتخذ العلماء مجامع علمية تشبه الى حد كبير مجامع اليوم ، واذا كان ابن حوقل يتحامل على الصقليين لكثرة المساجد لديهم كما يتحامل عليهم لكثرة معلميهم أو كما يقول مدعي التعلم ... فاني ادفع تلك الحملة القاسية التي تبدو خلال حديثه . اما كثرة المساجد فانها ليست دليل غرور وادعاء كما يذهب بل هي ضرورة استلزمتها الجلسات العامرة بالمناقشات العلمية المتواصلة . اما كثرة المتعلمين بحجة الهروب من الجيش فان ذلك ليس دافعا وجيها في نظري . والذي اراه حقا ان كثرتهم كانت وليدة ظروف مجتمعهم ... فتفوق أسد ابن الفرات (من اصحاب مالك) والمهندس محمد بن عيسى بن عبد المنعم والشاعر بن حمديس ، والشريف الادريسي الجغرافي الكبير وابن القطاع صاحب الدرة الخطيرة والقضاعي والشافي والسمنطاري الخ ....

وقد عمل المسلمون في صقلية بنظام البعثات حيث نظم الادريس بمساعدة روجار بعثات العلماء الجغرافيين الى الشرق والغرب وكان نتيجة ذلك دراسات جغرافية ضخمة تضمنتها موسوعته الكبرى (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) .

ويمكن ان يقال ان صقلية شاهدت ازدهار ثقافة واسعة الجنبات حيث اجتمع الى ذكريات الحضارات الماضية منابع ثقافة متدفقة فامتزجت الثقافة الشرقية بتراث اليونان والرومان وتكون من ذلك كله لون خاص ذو ملامح اصيلة .

وكان للانتعاش الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي والسياسي وتكامل حلقة الاتصال الثقافي بين الاقطار الاسلامية في الاندلس وصقلية والشام ومصر ، كان ذلك كله فضل ازدياد النشاط الفكري في غضون القرن الثاني عشر . وتحت سماء صقلية قدر لاولئك اللغويين ان يواصلوا ابحاثهم القيمة امثال : علي بن حمزة ، وابن عبد البر وصاعد ، وابن القطاع ، وابن مكي .

كما قدر لناقد كابن رشيق ان يصقل الذوق الادبي ولفقهاء مثل : عبد الحق ، والسمنطاري ، وابن مكي ، ان ينموا الدراسات الدينية ، وغزت مؤلفات عديدة آفاق العالم الاسلامي مثل : المبتدا (في ثمانية آلاف بيت) وتثقيف اللسان ، وبهذا اتيح لمترجميه كفردريك الثاني وجيرارد الكريموني ، ويوجين وقسطنطين (رئيس مدرسة سالرنو) قدر لهؤلاء وغيرهم ان ينقلوا ذلك التراث الضخم الى الانسانية في كل مكان فاكدوا بذلك التفوق الحضاري للمسلمين في صقلية .

القاهرة — يوسف نوفل

الحب الصامت

*

هل تداوي عذاب نفسي الجريحه
لو تراني معاك كنت صريحه
ام ترى تجرح الفؤاد وتلقي
حبي البكر في مهاوي الفضيحه
يخفق القلب اذ تمر بقربي
وانا رهبة بوجهي مشيحه
ايه يا شاعر الصبا كن طموحا
مثلما كنت في هواك طموحه
مد لي كفك الحنون وداعب
وردة في ربى جناني الفسيحه
واسقني من حنانك الثر علي
انعم اليوم بالحياة المريحه
لك كنزي مدى الحياة مباح
وبكنزي على سواك شحيحه
كم اناديك في غياهب ليلي
بدموع معبرات فصيحه
ولكم اشتكي تباريح وجدي
وانا الزم الفراش طريحه
كلمة منك تغسل السقم عني
وتحيل الشجون ذكرى مليحه
ان تكن في تدلهي مستريحا
فانا ـ يا معذبي ـ مستريحه

عمان — عبد الرحمن سالم عاليه

يوجين أونيل

بقلم مارتين براون

ترجمة ماهر شفيق فريد

* * *



ولد يوجين اونيل في ١٦ أكتوبر ١٨٨٨ بمدينة نيويورك. ولم يكن قد جاوز الثلاثين الا بقليل حين غدا يعد رائد الكتاب المسرحيين الامريكان . وقد كان لمثل هذه المكانة في عشرينيات القرن التاسع عشر من الدلالة ما لا نجده قبل ذلك او بعده : ففي تلك السنوات انتجت امريكا المسرحية الامريكية بحق . وحتى قيام الحرب العالمية الاولى كانت الكتابات الامريكية لخشبة المسرح تعتمد على النماذج الاوربية اعتمادا كبيرا حتى اذا طفرت امريكا طفرتها الكبرى نحو القوة خلال تلك الحرب اخرجت جيلا من الكتاب الذين سرحوا الحياة الامريكية بلهجة ولغة امريكيتين . وليس سيدني هيوارد وجورج كوفمان وروبرت شروود والمر رايس وبول جرين وليليان هيلمان الا امثلة قليلة لهؤلاء الكتاب المبرزين . على ان ليوجين اونيل عبقرية تجعله على راسهم جميعا .

ولهذه العبقرية بضع جوانب تصرف القراء الاوربيين عنها . فهي عبقرية عنيفة لا ترقق الفكاهة من حواشيها الا لماما . وهي توجه اهتمامها في اغلب الاحيان الى الحياة الخشنة . ولربما بدت كتابات اونيل على شيء من الاحتقان او حتى المرض على أن التعرف العميق عليها خليق بالكشف عن خطأ مثل هذا الانطباع . فالحياة السفلى في مسرحيات اونيل منتزعة من تجاربه . لقد (شق) طريقه الى كثير من ارجاء العالم برا وبحرا وخبر الحياة القاسية القانطة وذلك قبل بلوغه الرابعة والعشرين حين هدده مرض الدرن وقضى خمسة أشهر في مصحة وبذلك تغير طريق حياته ووجد متسعا من الوقت لاكتشاف اهليته للكتابة .

على ان هذه الحياة التي يعرضها في مسرحياته ليست واقعية فحسب وانما هي تتسم دائما بلمسة شاعرية . ولئن كان اونيل ثائرا اجتماعيا ، لقد ندد باولئك المغلولين بالعرف والساعين الى ارتقاء سلم المجتمع . لقد كانوا عميانا بينما كان الذين يعيشون في أسفل هذا السلم من البساطة الى الحد الذي امكنهم معه ان ينظروا من خلال بؤسهم وان يبصروا النجوم .

كان اونيل يجرب دائما اشكالا مسرحية جديدة واستطاع بهذه الطريقة ان يساعد على انماء المسرح الامريكي مساعدة بعيدة المدى بالغة الاهمية . وكان قارئا نهما : (قرات كل شيء وقعت عليه يدي : الاغريق والاليزابيثيين . الحقيقة كل الكلاسيات . كما قرات المحدثين جميعا بطبيعة الحال : ابسن وستراندبرج ـ لا سيما ستراندبرج) .

ذلك ما قاله وقت ان شرع يكتب المسرحيات في حماس. ولقد كان هذان الكاتبان الاسكندنافيان ـ مضافا اليهما الكاتب الالماني ودنكايند ، اقوى المؤثرات على ذهنه . ولقد قيل دائما انه اقتفى اثر التعبيريين الالمان في اوائل العشرينيات : تولر وكيزر . على انه قد توصل في حقيقة الامر الى بعض افكارهما من تلقاء نفسه . لقد حافظ دائما على ما تخليا عنه : وهو جعل الفرد الانساني الدافع الاصلي للدراما . ولم يكن الانسان عنده مخلوقا مجردا او آليا قط.

والحق أن ما بذله لتحرير المسرح من مواضعات الشكل البالية قد افضى به الى الاتجاه المقابل. وفي احدى مسرحياته الاولى من ذوات الفصل الواحد « قمر جزر الكاريبي » نراه يستغني فعلا عن العقدة استغناء يكاد يكون تاما وذلك ليسمح لشخصيته الرئيسية بان تكشف عن نفسها متحدثة عن احلامها بصوت مرتفع . ويمكننا أن نستمع هنا ايضا الى ذلك النثر ذي الايقاع القوي الذي راح يطوره طوال اكتسابه الثقة . فنثره هو الوسيلة الصالحة لنقل شخصياته العالمية التي تسري فيما تلا ذلك من مسرحيات. ونجد ان كل واحدة من مسرحياته « الامبراطور جونز » « القرد الكثيف الشعر » « الاله العظيم براون » تمعن في التجريب امعانا جريئا .

وككل ثائر حق بدأ اونيل بالتعرف راسا على ما كان يثور عليه . وكان ابوه جيمز اونيل ممثلا مثقفا من المدرسة القديمة . وكان يوجين يسافر معه احيانا ويمثل ادوارا ثانوية حتى اذا هو ادرك في ١٩١٣ انه قدر له ان يصبح كاتبا مسرحيا كان قد سبر اساليب المسرح البالي وحيله . (وقد وصف حياة اسرته في « رحلة النهار الطويلة في الليل » وصفا قويا متقنا) .

ولم يكن من الميسور لمثل هذا الكاتب المسرحي عدو المواصفات ان يشق طريقه مباشرة الى برودواي . وهو مدين باخراج مسرحياته الاولى لجماعة بروفينستاون تحت تحت اشراف جورج كرام كوك . ونجد ان اغلب مسرحياته ـ حتى منتصف العشرينيات ـ قد عرضت لاول مرة في قرية جرينوتش تحت اشراف كوك . ومن ذلك الحين صار يحتل مركزا في امريكا لا يختلف عن مركز ج. ب. شو في انجلترا : لقد غدا الثائر الشاب استاذا عجوزا ! ومن بين مسرحياته المكتوبة في السنوات السابقة مباشرة لوفاته (عام ١٩٥٣) احدثت مسرحيتان بالفتا الطول فيهما

ابقى الآثار وهما : « بائع الثلج يأتي » و « رحلة النهار الطويلة » .

وفي هذا المجلد الاول نجد ثلاث مسرحيات تنتمي الى فترة بدء العشرينيات . وقد شوهدت « آناكريستي » لاول مرة في نسخة مسماة « كريس كريستوفرسن » عام ١٩٢٠ . وكريس ـ قبطان زورق الفحم ـ يقوم على شخصية واقعية شاركت اونيل غرفته في بيت جيمز القس .

(كان قد جاب البحر حتى مل ذكره ولكنه لم يكن يعرف شيئا آخر سواه . وعندما كان شريكي في غرفتي كان عاطلا ولم يكن يريد الذهاب للبحر فكان يمضي وقته في عب الويسكي والتهكم على البحر) .

هكذا وصفه اونيل في مقاله من النيويورك تايمز (٢١ ديسمبر ١٩٢٤) . ولقد كانت عبارة كريس المشهورة : Dat de Davil sea منبعا للخيط الاساسي في المسرحية ولهذا لم يبد الحاح كريس عليها مبالغا فيه على ان تراجعه الى المركز الثاني في مسرحية « آنا كريستي » يبدو معرقلا للموضوع . فقصة آنا تغدو مركز المسرحية وهي قصة مؤثرة حقا . على ان شخصيتها لا تقنعنا اقناعا تاما . فالفتاة التي نلقاها عاهرة اول ما نلقاها لن تلبث ان تتحول الى فتاة (طاهرة الروح) حقا طوال المسرحية . وختام المسرحية يلائم مسرحا بالغ العاطفية اكثر منه حصيلة لتغير حقيقي فيها . على ان هذه المسرحية ـ رغم عيوبها ـ من احب اعمال اونيل الى الجمهور .

و « الامبراطور جونز » اول انموذج هام لانزال المسرحية الى خيط واحد هو الذي يسم تعبيرية اونيل . فهي تعرض قوة ايقاعاته مع استخدام الطبول . وان استحضار المتوحش النبيل واثر الرعب البدائي فنيا ليؤثر فينا ويعاودنا . انها مسرحية قصيرة تقتصر على احداث تأثير تجميعي موحد ولكنها تؤدي على خير وجه ما رسمت لنفسها ان تؤديه .

و « رغبة تحت اشجار الدردار » (١٩٢٤) عمل اكثر حذقا الى حد كبير وهي من اجمل ما خلقه كتاب المسرح . انها مأساة في نطاق التعريف الصارم لهذه الكلمة وهي تحدث الاثر التطريدي الذي ربط ارسطو بينه وبين المأساة . فافريام ـ الاب ومالك المزرعة ـ شخصية مأساوية البناء ينجم سقوطها عن كبريائها وان كان يعبر عن القيم الخالدة التي يمثل لها . ويضع اونيل ازاءه العاشقين الشابين المتهبين . والمسرحية مقامة على ارض صلبة وهي موحدة في نطاق طاقم مركب يرينا افراد البيت جميعا . والبيت هنا رمز الامتلاك . وان هذه التجربة لتذكرنا بـ «الناسجون» لهوبتمان . ويمكننا ان نعد هذه المسرحية من بين اوائل الكلاسيات التي انتجها المسرح الكلاسيكي .

القاهرة — ماهر شفيق فريد

المدينة الغاربة

●

وحدي هنا القى بي البحر وعاد
ارنو الى مدينتي
يغوص في احشائها الاصيل
الصفة الغريقة الابعاد
مغسولة بالدم
آثار جرح البحر قبل الرحيل
في الليل حيث قسمت جدرانه
الى سلال
محشورة فيها ازاهير نديه
مخنوقة فيها الشفاه
هل ازرع الاغراس من دمعي
في مقلتي شعاعة خافتة الانين
ام انشر الغصون
لتشرب الظلال
عصفورة مريضة محمولة الجبين

*

عيناي ضفاف مثقلة بالاشجار الهرمه
وجذور جبال سود تنمو في عيني
الشوك الابيض يرعى في اعشاب القمه
ترويها انهار الغار
تطفو فوق الامواه
اوراق ذابلة الافواه
نحتت من جرح غائر
بليت خيطان نسيجه في المرج
ذابت في ماء الانهار
ذابت في خيطان الشمس الغرقى
في اكوام الثلج
ملقى انت في العاصفة
يا ملقى ينخره الصدأ
ابكيك سدى يبكيك سحاب
ذرات رماد اله النار
ذرات رماد ماقي الشمس
لسماء عارية غرقت في ريش عقاب .

حلب — ظهير كنيفاتي

العاب الكعاب في دير الزور

بقلم المحامي عبد القادر عياش

صاحب مجلة صوت الفرات ورئيس تحريرها

* * *

الكعاب والاكعب والكعوب جمع كعب . والمقصود هنا هو كعب الخروف . وهو عظم غير عادي عند مفصل الساق والفخذ ، يكون في اليدين. تتوفر فيه اشكال من الاستدارة والتجويف والاحدداب والطول والعرض المتناسبين والسمك، مما جعله موضع الاختيار ليكون اداة لعب ، يختلف حجمه باختلاف سن الخروف ، والغالب بحجم التمرة المتوسطة.

العاب الكعاب قديمة عند أبناء الفرات ، ولابناء دير الزور ــ حاضرة الفرات ــ بصورة خاصة ولع شديد بها ، وهي كثيرة متيسرة ومبذولة عندهم لكثرة ما كان يذبح في المنطقة من الخراف التي كانت كثيرة العدد لوفرة المراعي وجودتها ولقلة تصدير الاغنام ، ولرخص اسعارها خاصة في الربيع وهو موسم نتاجها ، ولتفضيل السكان لحم الخراف على غيره من أنواع اللحوم الاخرى .

يحصل الصبيان على الكعاب اما من اهلهم واقاربهم وجيرانهم ، واما بمبادلتها على اشياء زهيدة ، واما بالربح من بعضهم بعض او شرائها بثمن بخس ، وكل واحد منهم يسعى بان يحوز اكبر كمية من الكعاب ممكنة ، ويبلغ عدد ما يملكه البعض منهم الف كعب أو يزيد ، يتفاخرون بمقدار ما يملك الواحد منهم ، ويعنون بانتقائها وتنظيفها وصيانتها حتى انهم يضعونها في علب الخشب او الصفيح . ويحفرون بطن بعضها لصب الرصاص فيها ويسمى (المرصرص) وله دور خاص في اللعب . ولكثرة الكعاب وجدت حولها العاب عدة ، لكل منها اسم واصول مرعية ، ولاشكالها عند وقوعها على الارض اثناء اللعب مصطلحات خاصة ، وبحسب تلك الاشكال يربح اللاعب او يخسر .

لقد عثرت البعثة الاثرية الفرنسية التي تعمل في الحفريات براس شمرا (أوغاريت) على الساحل السوري على كعب فيه رصاص . يدل ذلك على قدم اللعب بالكعاب عند الشعوب السامية . وقد عرف العرب الجاهليون اللعب بالكعاب ، وجاءت الفاظ خاصة بها . في المخصص ــ تجامح الصبيان ــ رموا كعبا بكعب حتى يزيله عن موضعه ، وجمخ الصبيان بالكعاب وجمحوا . قال ابو عمرو انجمخ الكعب ــ انتصب . وقال صاحب العين جبخوا بكعابهم اي رموا بها لينظروا ايهم يخرج فائزا . والجبخ صوت الكعاب والقداح اذا اجلتها .

وفي اللسان جمحوا بكعابهم كجبحوا ، وتكامح الصبيان بالكعاب اذا رموا كعبا بكعب حتى يزيله عن موضعه . وفي القاموس ، الجبخ ــ اجالتك الكعاب في القمار . وفي المخصص ، الشذق ــ الكعب الذي يلعب به . وارتب الغلام الكعب ورتبه ــ اثبته ، وغير ذلك الفاظ اخرى .

وجاء الكعب في شعر الشاعر العباسي ابي نواس حيث يقول من قسم له :

حلفت اليوم بالطنبور والكعبين والنرد
وبالشرب من الراح على النسرين والورد

ولما كان الديريون يرجعون بانسابهم الى قبائل عربية ، فان العاب الكعاب التي يمارسونها انتقلت اليهم لا ريب من اجدادهم الجاهليين والاسلاميين . ولئن لم تردنا اوصاف وتفاصيل العاب الكعاب عندهم ، فان هذه عند ابناء الفرات تحتفظ بكثير من اوصاف واصول الالعاب القديمة ، وان اختلفت بالاسماء حيث تنوسيت القديمة او حرفت، وحلت محلها اسماء اخرى هي المعروفة اليوم . وهي تختلف عن بعضها البعض في المناطق العربية . ولم تجر مقارنة بين الاسماء القديمة والحديثة ، وبين الاسماء في المناطق العربية للالعاب الاهلية، لعدم توفر الكتابات بهذا الموضوع. فما زلنا نهمل شعبياتنا (فولكلورنا) .

وهذه هي المصطلحات المحلية التي تتشكل بها الكعاب عند رميها اثناء اللعب وبحسبها يربح اللاعب او يخسر .

يسمون بطن الكعب وهو مكان الجورة (خرجي) وظهره المقابل وهو المدبب (دبعي) او دباع . و (فرس) عندما يكون جالسا ونقشه الى اعلى و (جحش) عندما يكون جالسا والنقش الى اسفل . و (الشقيطي) الكعبان اللذان يلعب بهما على انهما فص أو زهر . و (الشقطة) هي ان يأتي الكعبان عند رميهما أثناء اللعب دبعي ودبعي او خرجي وخرجي و (خلفة) ان يأتيا خرجي ودبعي . واذا خرج فرس وفرس ، او جحش وجحش ربح الرامي ضعفا . وان جاء فرس وجحش خسر ضعفا . واذا جاء فرس وخرجي ربح الرامي الكمية المقامر عليها .

ويطلقون على الكعبين اللذين يتخذان فصا لفظ الكعب وهو اداة القمار ، ونسميه (الوزود) يلعب به الكبار على نقود ، ويلعب الصبيان على كعاب او لوز المشمش .

احسب ان لفظة (الوزود) متأتية من اللفظة القاموسية (الزدو) ، في القاموس ــ زدي الجوز ، وبه لعب ورمى به في المزداة وهي الحفيرة . وفي اللسان ــ الزدو كالسدو. وفي التهذيب لغة في السدو وهو لعب من الصبيان بالجوز، والمزداة موضع ذلك . وزدا الصبيي الجوز يزد وزدوا ــ لعب ورمى به في الحفيرة وهي المزداة .

واداة القمار عند الصبيان كعب واحدة يختارها اللاعب من بين كعابه يتوفر فيها الثقل والنظافة ، تسمى (اليمنة) لانها تمسك باصابع اليد اليمنى . ولكل لاعب يمنته الخاصة به يحتفظ بها لكل العاب الكعاب . وهذه هي اسماء معظمها

مع وصف موجز لكل منها وقد اختفت جميعا .

١ ــ الوزود ــ يقعد اللاعبون على الارض بشكل حلقة صغيرة في البرية او في الخرابات او في مقبرة في الغالب. ومكان الصبيان الطرقات . وامام كل لاعب مادة القمار على الارض ، ويتعين البادي ، وهذا يمسك الكعبين ــ وقد هيئت تهيئة خاصة مسبقة ــ بين اصابعه الثلاثة الابهام والسبابة والوسطى من اليد اليمنى ، متطابقين ــ الفرسان الى اعلى والخرجي مقابل مثيله ، يبدأ بالذي على يمينه ، وهذا يعزل مقداراً من مادة اللعب امامه ويبرزها قائلا (شيش) فيقول ماسك الفص ــ وزود ، ويرمي الفص وسط الحلقة من ارتفاع نحو نصف متر . واذا خشي الدبايش من رمي الفص من ارتفاع اقل فله ان يضع يده على الارتفاع المطلوب ، ويطلب الى المزدى اي ماسك الفص ان يرمي به من فوق يده قائلا من هنا حلال عليك . اي اذا ربحت فيكون ذلك بلا غش ويكون ربحك حلالا . واذا كان المزدى قد دخله ربح ، وكان الفص بيده ، وحضر صاحب له ووقف عند راسه وقال له : اضرب لي عيون ، فاذا وافق يقول عند رمي الفص وهو في دوره على مقدار ابرزه لاعب : عيون فلان ، فيعقب صاحبه بقوله . ياكل اي تربح . فاذا ربح اخذ صاحبه المقدار المفرز . وفي السنين الاخيرة بطل اتخاذ الكعبين اداة للقمار عند الكبار ، وحل النرد والدامة والدومنة وورق اللعب بانواعه محله .

٢ ــ الطمة ــ يحفر عدة صبيان حفيرة في الارض الى جانب حائط ، ويخطون خطا على بعد ثلاثة امتار من الحفيرة ، يقفون عليه ، ويرمي كل لاعب ثمانية كعاب الى الحفيرة ، وما لم يسقط فيها اعيد اليها ، واللاعب الذي يستطيع اسقاط كعابه الثمانية برمية واحدة في الحفيرة يربح كعابها .

٣ ــ كلشة ــ يخط صبيان على الارض دائرة بقطر اربعين سنتمترا ، يرمي كل أحد منهما فيها كعبا ، ويبدأ احدهما ويعين بالقرعة ، يقذف بكعبه وهو على الارض بالاصبع الوسطى منفلتة من الابهام في اليد اليمنى الكعب الثانية فان اخرجها من الدائرة ربحها ، على ان تبقى كعبه في الدائرة . وان خرج الكعبان فذلك (كلشة) يعاد اللعب . وكلما ربح احدهما كعبا لعب الخاسر على آخر .

٤ ــ زليط ــ يخط عدة صبيان دائرة في الطريق او البرية بقطر متر ونصف ، ويخطون قطرها . وعليه يضع كل لاعب عشرة كعاب ، يتوسط كعاب الجميع كعب واقف يسمى (زليط) . وعلى بعد اربعة امتار من طرف الدائرة يقف الصبيان وبيد كل منهم يمنته يديرها بين اصابع يده اليمنى يمرنها ويستحثها ، ويتعين البادىء بالقرعة فيسدد يمنته الى زليط ويرميه بها . فان اخرجه من الدائرة كسب كعابها . واذا لم يخرجه واسقط كعابها اضاف بعددها الى الصف . ويأتي دور الذي يليه .

٥ ــ الطلعة ــ يخط عدة صبيان خطا مستقيما ، يضع كل واحد منهم عليه ثلاثة كعاب ، يبدأ احدهم ــ ويتعين بالقرعة ــ فيرمي كعبه من مكان الكعاب الى الامام على بعد عدة امتار ، فاذا جاء فرس أبقاه بمكانه ، ويأتي دور الآخرين يرمي كل كعبه ، فاذا اصاب احدهم فرس الاول ربح الكعاب ، فان لم يصب احد الفرس ربح صاحبها الكعاب ، فان لم يجيء كعب الاول فرسا ، يرمي الصبيان كعابهم ، فمن كان مكان سقوط كعبه ابعد يبدأ من مكان كعبه ، يسدد الى الكعاب المصفوفة ويرميه به ، فان ابعد احدها عشرة اقدام عن الصف فاز بها جميعا ، وان اصاب بعضها دون ان يبعده عشرة اقدام خسر (مات) ويبدأ من يليه .

٦ ــ الخطة : يخط عدة صبيان دائرة مع قطرها متر ونصف ، ويضع كل واحد على القطر عشرة كعاب ، ويقفون على بعد اربعة امتار من طرف الدائرة ، ويبدأ احدهم ويرمي بكعبه الكعاب المصفوفة . فما اخرجه منها خارج الدائرة ربحها ، ويستمر يلعب ، واذا اسقط كعابها دون ان يخرجها من الدائرة اضاف الى الصف بعددها ، ويأتي دور الذي يليه .

٨ ــ الجاقول ــ يلعب بها الصبيان في الطرقات على كعاب . والكبار في البرية في الربيع على نقود . يكون مع كل لاعب كرة حجرية صلبة مصقولة ناعمة اصغر من الجوزة تسمى (كلة) تصنع في البلد . يختارون ميدانا سهلا تجري فيه الكرات يسمى (سلهوب) هو في الاصل مجرى سيل . يضع كل لاعب في الميدان كعبا بين الواحد والآخر ثلاثة امتار . ويتعين البادي ويسمى الوالي ويقول واليتي ، ثم الثاني ويسمى اكنجي (تركية) والاخير يسمى اخو الوالي . ومن نقطة معينة يجري الاول كرته وهو قاعد على الارض في السلهوب يقذفها باصابع يده اليمنى باتجاه الكعاب او النقود ، فأي نقد مسته كرته ربحه، واذا مست كرة اخرى خسر صاحبها اربعة كعاب فضلا عن كعبه في الميدان ، واذا مست كرة اللاعب جميع الكرات ربح صاحبها من كل لاعب اربعة كعاب مع كعاب الميدان . ويقال فلان صفى الداس . وهو دورة من دورات اللعب . ويقال نبز الكلة اذا جعلها ترتفع قليلا عن الارض غير المستوية حتى لا تصطدم بالحصى فيتغير اتجاهها .

٩ ــ سلطان مملوك ــ يأخذ ثلاثة شبان كعبا يلقيه الاول فاذا خرج فرس فالاول سلطان واذا خرج للثاني فرس او جحش فهو وزير . والثالث يسمى الجدي . يقول الوزير السلطان : سلطان مملوك ؟ يجيب ــ عرب سالوك . فيقول الوزير ــ شو تؤمر على هل جدي المحكوك ؟ يقول السلطان: آمره بان يبوس الارض . وله ان يأمر بغير ذلك .

دير الزور ــ سورية

عبد القادر عياش



بقلم الكسندر بوشكين

ترجمة عيسى الناعوري



كان معسكرنا في مدينة (ن) . وحياة الضابط في الجيش معروفة جيدا ، ففي الصباح رياضة بدنية ، وركوب خيل ، ثم غداء مع الكولونيل او في مطعم يهودي ، وفي المساء شراب ولعب ورق . ولم يكن في مدينة (ن) اي بيت مفتوح امامنا ، ولا فتاة واحدة يمكن الاقتران بها . وكنا نجتمع معا في غرفنا حيث لم تكن تقع عيوننا الا على رجال في لباسهم العسكري .

مدني واحد فقط كان مسموحا له بالاختلاط في مجتمعنا . كان في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، ولهذا كنا نراه كبير السن بالنسبة الينا . لقد اعطته تجاربه ميزة علينا، كما ان كآبته المألوفة ، ومظهره المتجهم ، ولسانه اللاذع تركت في اذهاننا الصغيرة انطباعات عميقة . لقد كان وجوده محاطا بشيء من السرية الغامضة . كان روسيا في مظهره على الرغم من ان اسمه كان اجنبيا . ولقد سبق ان خدم في فرقة الفرسان بامتياز . وليس ثمة من يدري لماذا احيل على التقاعد واستقر في مدينة بائسة ، يعيش فيها عيشة فقيرة ولكنها في الوقت عينه عيشة تبذير . كان دائما يسير على قدميه ، وكثيرا ما كان يرتدي معطفا اسود مهلهلا ، ولكن ضباط فرقتنا كانوا دائما موضع ترحيب وحفاوة على مائدته . والصحيح ان عشاءه لم يزد قط على لونين من الطعام او ثلاثة ، كان يعدها جندي متقاعد ، غير ان الشمبانيا كانت تجري فيه كالماء . ولم يكن احد يدري شيئا عن ظروفه ولا عن دخله ، ولم يجرؤ احد قط على سؤاله عن ذلك .

كان لديه مجموعة كتب ، اغلبها روايات وكتب تتعلق بالشؤون العسكرية . وكان يعيرنا اياها للقراءة راضيا قريرا ، ولم يطلب الينا ردها ابدا ، ومن جهة اخرى لم يقم مطلقا باعادة الكتب التي كان يستعيرها الى اصحابها . وكانت تسليته الكبرى هي الرماية بالمسدس . لقد كانت جدران غرفته ملأى بالثقوب من اثر الرصاص كأنها خلية العسل . وكان مظهر الترف الوحيد في الكوخ الذي يسكنه هو مجموعة من المسدسات ، وكانت المهارة التي اكتسبها في استعمال سلاحه المفضل نادرة وعسيرة التصديق ، فلو اراد ان يرمي اجاصة موضوعة على قبعة انسان ، لما تردد احد من فرقتنا ان يجعل من رأسه هدفا لرصاصته .

وكثيرا ما كانت تدور احاديثنا حول المبارزة ، ولكن سيلفيو – هكذا سأدعوه – لم يكن يشترك فيها . وحين سئل مرة عما اذا اشترك قط في قتال ، اجاب بالتأكيد اجابة جافة ، ولكنه لم يدخل في شيء من التفاصيل ، وكان واضحا ان مثل هذه الاسئلة لم تكن تروقه . فكان يخيل الينا ان ضميره مثقل بذكرى ضحية تعسة اوقعها سوء الطالع تحت رحمة براعته الرهيبة . ولم يدر في خلد احد منا ان يظن فيه شيئا من الجبن او ما الى ذلك . وان هناك اناسا يكفي مظهرهم لكي ينفي عنهم اي اثر من مثل هذا الظن . الا ان حادثة غير متوقعة حدثت فأذهلتنا جميعا .

في احد الايام تناول نحو عشرة من ضباطنا العشاء مع سيلفيو ، وشربوا كثيرا كالعادة . وبعد العشاء طلبنا الى مضيفنا ان يتولى البنك في لعبة الورق ، فظل يتمنع وقتا طويلا ، لانه قل ان مارس لعب الورق ، ولكنه رضخ في النهاية ، فامر باحضار الورق ، ووضع نصف مئة من قطع العملة الذهبية على الطاولة وجلس يوزع الورق . فأخذنا اماكننا من حوله وبدأ اللعب . وكان من عادة سيلفيو الصمت المطلق في اثناء اللعب ، فهو لا يجادل ، ولا يدخل في التفسيرات ، فاذا اخطأ احد المقامرين في الحساب ، دفع له الفرق حالا ، او استرد منه الزيادة . كانت هذه العادة فيه مألوفة لدينا ، وكنا دائما نتركه يتصرف على طريقته الخاصة . غير انه في تلك المناسبة كان بيننا ضابط نقل الى فرقتنا حديثا . وفي اثناء اللعب اخطأ هذا الضابط سهوا في نقطة واحدة مرارا متعددة . فما كان من سيلفيو الا ان اخذ الطبشورة وكتب الحساب الصحيح حسب عادته المألوفة . فظن الضابط ان سيلفيو قد اخطأ ، فراح يشرح له ما يراه صوابا ، فلم يعره سيلفيو اهتماما بل استمر يلعب صامتا . ففقد الضابط صبره ، فتناول الفرشاة ومسح ما كان يظنه خطأ . فأخذ سيلفيو الطبشورة وصحح الرقم مرة اخرى . ومع حميا الخمر، وحرارة اللعب ، وضحكات الزملاء ثار الدم في رأس الضابط ، واحس انه اهين اهانة بالغة ، وفي سورة غضبه امسك بشمعدان نحاسي على الطاولة وقذف به سيلفيو ، ولكن هذا نجح في تحاشيه بشيء من الجهد . فتولانا الذعر جميعا . ونهض سيلفيو ، يعلو وجهه بياض الحنق ، وعيناه تقدحان شررا ، وقال :

« سيدي العزيز ، تفضل بالخروج، واحمد ربك على ان هذا قد وقع في منزلي » . ولم يخامر احدا منا شك في ما ستكون النتيجة ، واخذنا ننظر الى رفيقنا باعتباره قد جاء

اجله لا محالة . فانسحب الضابط وهو يقول انه على استعداد لان يرد على اهانته بالشكل الذي يريده غريمه . واستمر اللعب دقائق اخرى، ولكن احساسنا بأن مضيفنا متهيج بحيث لا يستطيع الانتباه الى اللعب جعلنا ننسحب في أثر زميلنا الاخر ، فانصرفنا الى ثكناتنا بعد ان تبادلنا بضع كلمات حول ما نتوقعه من حدوث شاغر في فرقتنا عما قريب.

في اليوم التالي ، في مدرسة الفرسان ، كان كل منا يسأل الاخر عما اذا كان الملازم المسكين ما يزال حيا . فاذا به يظهر بيننا . فالقينا السؤال عليه هو نفسه . فأجاب بأنه لم يتلق بعد جوابا من سيلفيو . فأصابتنا دهشة بالغة . وذهبنا الى سيلفيو فالقيناه في ساحة المنزل يطلق رصاصة في اثر رصاصة على آس (من ورق اللعب) ملصق على البوابة . فاستقبلنا على عادته ،ولكنه لم يشر بكلمة الى حادثة الليلة الماضية ، ومضت ثلاثة ايام وما يزال الملازم حيا . فراح كل منا يسأل الاخر في حيرة ودهشة . « امن الممكن ان يمتنع سيلفيو عن المبارزة ؟ » .

ولكن سيلفيو لم يبارز خصمه . لقد اكتفى بتفسير هزيل جدا ، وتصالح مع غريمه . وكان هذا سببا في هبوط قيمته في نفوس شبابنا جميعا . ان فقدان العزيمة لهو آخر ما يمكن ان يغتفره الشبان ، لانهم يعتبرون الشجاعة راس الفضائل الانسانية كلها ، وهي عندهم تبرر كل خطأ ممكن . ولكن كل شيء زال تدريجا ، ثم استرد سيلفيو نفوذه السابق .

انا وحدي لم اعد استطيع التقرب اليه كما كنت سابقا . لقد حبتني الطبيعة خيالا مرهفا ، ولهذا كنت من قبل اكثر الجميع تعلقا بالرجل الذي كانت حياته لغزا ، والذي يبدو لي انه بطل قصة غامضة . وكان هو يحبني كثيرا ، على الاقل كان معي وحدي يتخلى عن لهجته الساخرة المألوفة ، ويتحدث في مواضيع مختلفة ببساطة وبشكل مقبول على خلاف العادة . اما بعد تلك الامسية السيئة فقد ظلت حية في ذهني فكرة شرفه الذي تمرغ في الدناءة ، واللطخة التي ظلت عالقة به خطأ منه ، ولذلك لم اعد اعامله كما كنت اعامله من قبل . كنت اخجل من النظر اليه ، وكان هو من الذكاء والخبرة بحيث لا يخفى عليه ذلك ، ولا يفوته معرفة السبب . وكان هذا يكدره كثيرا ، على الاقل لاحظت مرة أو مرتين رغبته في أيضاح الامر لي ، غير انني تحاشيت اعطاءه فرصة لذلك ، فتخلى عن المحاولة . ومذ ذاك لم اعد اراه الا في محضر من زملائي، وانتهت احاديثنا الودية والسرية القديمة نهائيا .

ان من يعيشون في وسط المثيرات التي تزخر بها العاصمة لا يعرفون شيئا عن التجارب العديدة المألوفة لدى سكان القرى والمدن الصغيرة ، ومنها مثلا ، انتظار وصول البريد . ففي ايام الثلاثاء والجمعة كان مكتب فرقتنا يغص بالضباط بعضهم ينتظر النقود ، وبعضهم الرسائل ، وغيرهم الصحف . وكانت الطرود تفتح حالا ، والضباط يتناقلون نبذا من الاخبار من واحد الى اخر ، فيقدم المكتب من كل ذلك صورة ملأى بالحيوية والحركة . وكان سيلفيو يتسلم رسائله بواسطة الفرقة ، ولذلك كان يحضر عادة هناك لتسلمها .

في احد الايام تلقى رسالة ، فاخترق ختمها بنظرة فيها كل معاني فروغ الصبر . وحين قرأ محتوياتها لمعت عيناه بالشرر . وكان كل من الضباط مشغولا ببريده، فلم يلاحظوا شيئا من ذلك .

وقال سيلفيو : « ايها السادة ، ان الظروف تقتضي رحيلي مباشرة . سأسافر الليلة ، فأرجو ان لا ترفضوا العشاء معي للمرة الاخيرة . سأكون في انتظاركم » ثم التفت الي واضاف قائلا : « سأكون في انتظارك انت ايضا ، فلا تتأخر » .

ثم اسرع في الانصراف ، وبعد ان اتفقنا على الاجتماع في منزل سيلفيو افترقنا الى ثكناتنا المختلفة .

وصلت الى منزل سيلفيو في الوقت المحدد فوجدت الفرقة كلها تقريبا هناك . كانت كل امتعته محزومة ومهيأة للرحيل ، ولم يبق سوى البار والجدران المثقبة بالرصاص . فجلسنا حول المائدة ، وكان المضيف في احسن حالات المرح ، وسرعان ما انتقلت عدوى مرحه الى الجميع . واخذت اغطية الزجاجات تفرقع ، والاقداح تمتلىء دون انقطاع . وفي غمرة النشوة وحرارتها رحنا نتمنى لصديقنا المزمع السفر رحلة طيبة وسعادة كاملة . وحين نهضنا عن المائدة كان الوقت متأخرا من الليل . وبعد ان ودعنا سيلفيو جميعنا اخذني بيدي وانا اهم بالانصراف ، وابقاني معه قائلا بصوت منخفض :

« اود ان اتحدث اليك »

فوقفت خلفه الى ان انصرف الضيوف ، وبقينا وحدنا . فجلسنا متقابلين واشعل كلمنا غليونه صامتا. كان سيلفيو يبدو شديد الاضطراب فلم يعد يظهر على وجهه اي اثر من مرحه الشديد السابق . وكان الشحوب الشديد في وجهه ، وعيناه المتقدمان ، والدخان الكثيف الخارج من فمه ، تخلع عليه مظهرا شيطانيا حقا ، وانقضت دقائق عديدة ، ثم قطع سيلفيو الصمت بقوله :

« قد لا يرى احدنا الاخر مطلقا بعد الان . ولكن قبل ان نفترق اود ان اوضح لك شيئا . لعلك لاحظت انني قليل المبالاة برأي الاخرين ، ولكني احبك ، واشعر بأنه سيؤلمني كثيرا ان اتركك وفي نفسك عني فكرة خاطئة » .

ثم توقف قليلا ، واخذ يحشو غليونه ، ورحت انظر صامتا الى الارض . ثم تابع حديثه :

« لقد بدا لك غريبا ان لا الجأ الى تصفية كافية مع ذلك السكران (ر) . ولكنك ستوافق مع ذلك انه ما دام لي حق اختيار السلاح ، فقد كانت حياته بيدي دون شك ، بينما لم يكن هناك خطر على حياتي . وفي وسعي ان انسب صنيعي هذا الى الكرم والحلم وحدهما ، ولكنني لن اكذب عليك ، فلو كنت واثقا من ان في وسعي ان اعاقب (ر) دون ان يكون في ذلك ادنى خطر على حياتي ، لما صفحت عنه » .

فنظرت الى سيلفيو مذهولا . لقد كان ذلك الاعتراف منه مفاجأة مذهلة لي وتابع سيلفيو كلامه :

« هكذا تماما ، ليس لي حق في ان اعرض حياتي للموت ، فمنذ ست سنوات تلقيت صفعة على وجهي،وما يزال عدوي حيا » .

فهاج بي الفضول حتى بلغ منتهاه، فسألت :

« الم تبارزه ؟ ام لعل الظروف ابعدتك عنه !»

فاجاب سيلفيو : « بل بارزته ، وهذا تذكار من تلك المبارزة » . ونهض سيلفيو وتناول من احد الصناديق قبعة حمراء عليها شرابة مقصبة (كالتي يدعوها الفرنسيون قبعة البوليس) ووضعها امامي . كان فيها اثر رصاصة نفذت منها على بعد بوصة واحدة من الجبين . وتابع سيلفيو كلامه :

« انت تعرف أنني خدمت في احدى فرق الفرسان ، وطباعي معروفة لديك جيدا ، فانا معتاد ان اكون في مركز القيادة . لقد كان هذا شأني منذ الطفولة . في ايامنا كان الانغماس في الملذات هو الموضة الدارجة ، وكنت انا اكثر الرجال خشونة في الجيش . كنا نتباهى بالسكر ، ولقد تفوقت في السكر على (ب) الشهير الذي تغنى به الكاتب (د . د . د) وكانت المبارزات في فرقتنا كثيرة الحدوث ، وكنت في كل منها تقريبا اما عنصرا ثانيا واما أساسيا . وكان رفاقي يعبدونني بينما كان قواد الفرقة - وكثيرا ما كان هؤلاء يتبدلون - ينظرون الي باعتباري شريرا لا بد منه .

وكنت اغتبط بشهرتي هذه هادئا، او صاخبا ، حين انضم الى فرقتنا شاب ينتمي الى اسرة غنية بارزة - ولن اذكر لك اسمه - . لم يحدث قط ان التقيت بشاب محظوظ كهذا . تصور في نفسك الشباب ، والذكاء ، والجمال ، والغبطة اللامحدودة ، والشجاعة التي لا حد لتهورها ،والاسم اللامع ، والغنى البعيد ، تصور كل ذلك ، وعندئذ يمكنك ان تكون لنفسك فكرة عن التأثير الذي هو واثق من ان يحدثه فينا . لقد شعرت بان تفوقي قد اهتز ، اما هو فقد بهرته شهرتي فراح يتردد الي محاولا صداقتي ،ولكني تلقيت ذلك ببرودة، وعند ذاك ابتعد عني دون ادنى اسف. فصرت اكرهه واحقد عليه . وان نجاحه في الجيش وفي مجتمع النساء قد ساءني الى اقصى حدود الاساءة . فرحت اتحرش به لمشاجرته ولكنه كان كل مرة يرد على عباراتي بعبارات باتة اشكر منها براعة وجزما ، واكثر تسلية دون شك . وبينما كنت انا اشتغل بالغضب كان هو يتندر ويلهو . واخيرا في حفلة رقص اقامها ملاك بولندي ، كان هو فيها محط انظار السيدات ولا سيما صاحبة الدعوة التي كنت على علاقة معها ، همست في اذنه بملاحظة كانت تحمل اهانة كبيرة . فاشتعل غضبا وصفعني على وجهي . فانتزعنا سيفينا بسرعة ، وعند ذاك شحبت وجوه السيدات ، فافترقنا ، وفي تلك الليلة عينها تهيأنا للمبارزة .

« كان الفجر قد اخذ يبرز وقد وقفت انا في المكان المعين ، ومعي شهودي الثلاثة ، انتظر بفارغ الصبر وصول خصمي ، ورأيته يقبل من بعيد . كان يسير على قدميه ، مرتديا ثيابه العسكرية ، ومتقلدا سيفه ، وفي رفقته شاهد واحد . فتقدمنا لملاقاته ، وراح هو يقترب حاملا قبعته بين يديه ملأى بالكرز الاسود . وقاس الشهود لنا اثنتي عشرة خطوة . كان علي ان اكون البادىء باطلاق النار ، غير ان اضطرابي كان شديدا بحيث لم اكن استطيع ان اثق من ثبات يدي . ورغبة في ان اعطي نفسي فرصة للهدوء تركت له الطلقة الاولى فلم يشأ خصمي الموافقة على هذا . عند ذاك تقرر ان تجري القرعة ، فكان الدور الاول له . فسدد المسدس نحوي فنفذت الرصاصة من قبعتي . وجاء دوري الان . لقد كانت حياته في يدي أخيرا . فنظرت اليه ورحت اتفحص ملامحه لعلي ارى فيها اثرا يدل على اضطراب او ظلا للخوف ، غير انه كان واقفا امام مسدسي يلتقط حبات الكرز من قبعته ويتناولها ، ثم يبصق بذورها من فمه فتكاد تصل الى موضع قدمي . فاثارني هدوء هذا اثارة لا حد لها . فقلت في نفسي:

« ما الفائدة من تجريده من الحياة ما دام لا يقيم لها ادنى وزن ؟ » ودار في ذهني خاطر خبيث، جعلني اخفض مسدسي . ثم قلت له : « يبدو انك لست مستعدا للموت في هذا الوقت، فانت تريد أن تتناول فطورك ، وانا لا اريد ان اعوقك عنه » .

فاجاب : « انك لا تعرفني مطلقا ، فتفضل باطلاق النار ، او كما تشاء انت مدين لي بطلقة ، وساكون دائما في خدمتك » .

« فعدت الى الشهود واخبرتهم بانني لا رغبة لي في اطلاق النار في ذلك اليوم . وهكذا انتهت المبارزة .

« واستقلت من عملي ، واقمت في هذا المكان ، ومنذ ذلك الحين لم يمر بي يوم دون ان أفكر في الانتقام ، وها قد جاءت ساعتي الان » .

وتناول سيلفيو من جيبه الرسالة التي تلقاها صباح ذلك اليوم وناولني اياها لاقرأها . لقد كتب اليه احدهم (ولعله وكيل اعماله) من موسكو يخبره بان « شخصا » يريد ان يتزوج فتاة صغيرة بارعة الجمال .

وقال سيلفيو : «في وسعك ان تعرف من هو ذلك « الشخص » . انني ذاهب الى موسكو . سنرى اذا كان الان سيواجه الموت ، وهو على عتبة زواجه ، بمثل تلك اللامبالاة التي واجهه بها وهو يأكل حبات الكرز » .

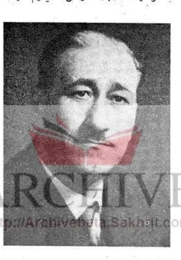
عند هذه الكلمات نهض سيلفيو ، وقذف بقبعته الى الارض ، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا كنمر في قفصه . لقد أصغيت الى حكايته صامتا ، وكانت تتناهبني مشاعر غريبة مؤلمة .

ودخل خادم يخبره ان الجياد مهيأة ، فشد سيلفيو على يدي بقوة ، وتعانقنا ، ثم جلس على العربة التي كان فيها صندوقان يحتوي احدهما على المسدسات والثاني على الامتعة . وتبادلنا كلمات الوداع مرة اخرى ثم مضت الجياد مسرعة .

*

ومضت عدة سنوات شدهتني فيها الشواغل العائلية حتى استقر بي المطاف في قرية صغيرة فقيرة من مقاطعة (ن) . واشتغلت بالزراعة ولكنني كنت لا انقطع عن التحسر سرا على حياتي السابقة الملأى بالحيوية واللامبالاة . وكان اصعب شيء عندي هو ان اعتاد على قضاء امسيات الربيع والشتاء في وحدة تامة . الى ساعة العشاء كنت استطيع ان اقضي الوقت بشكل او بآخر ، فاتحدث مع قائد المركز ، او أتجول على ظهر الحصان لتفقد العمل ، او امضي لاتفرج على الابنية الجديدة ، ولكن عندما يهبط الظلام كنت احتار فعلا في ما اصنع بنفسي . الكتب القليلة التي عثرت عليها في الخزائن وفي غرف المستودعات حفظتها كلها غيبا ، وكل الحكايات التي استطاعت مديرة منزلي كيريلوفنا ان تتذكرها ، سمعتها منها مرارا ومرارا ، واغاني المرأة القروية ولدت عندي شيئا من الضغط الخانق . وحاولت ان اتعاطى المشروبات الروحية ، ولكنها اصابت راسي بالصداع . واعترف ، اضافة الى هذا ، انني كنت اخشى ان يشملني الهم ، وهذا اشد انواع الملل الما ، وقد رأيت منه امثلة عديدة في مقاطعتنا . ولم يكن لدي جيران قريبون سوى اثنين او ثلاثة من السكارى الذين يكون حديثهم في الغالب فواقا وآهات ، وكانت الوحدة افضل من معاشرتهم .

على بعد نحو اربعة اميال من منزلي كان يقوم منزل فخم من املاك الكونتيسة (ب) ، ولكن لا يقيم فيه



عيسى الناعوري

●

احد سوى الوكيل . ولم تزر الكونتيسة منزلها ذاك سوى مرة واحدة خلال السنة الاولى من حياتها الزوجية ، واقامت فيه شهرا واحدا فقط حينذاك . ولكن في الصيف الثاني من حياتي في هذه العزلة ، وصل تقرير يقول ان الكونتيسة قادمة مع زوجها لقضاء الصيف في هذا المنزل . وفعلا وصلا في مطلع شهر حزيران .

ان وصول جار ثري حدث مهم في حياة القرويين ، يظل الملاكون وعيالهم يتحدثون عنه طوال شهرين قبل وقوعه ، وطوال ثلاث سنوات بعد حدوثه . اما انا فيجب ان اعترف بان انباء وصول جارة جميلة شابة قد ترك في نفسي اعمق الاثر واقواه ، فكنت أتحرق شوقا الى رؤيتها . وفي يوم الاحد الاول بعد وصولها ذهبت بعد الغداء الى قرية (أ) لكي اقدم واجب التحية للكونتيسة وزوجها ، بصفتي اقرب جيرانهما واكثر خدامهما تواضعا .

وقادني احد الخدم الى مكتب الكونت ، ثم مضى ليعلن عن حضوري. كانت الغرفة الرحيبة مؤثثة بكل ما يمكن من الفخامة والترف . كانت الجدران مخططة برفوف الكتب ، وعلى كل منها تمثال نصفي من البرونز ، وعلى رف المدفأة الرخامي مرآة كبيرة ، وعلى الارض قماش اخضر مغطى بالسجاد .

ولما كنت غير معتاد على الفخفخة في قريتي الفقيرة ، ولم يتح لي ان ارى ثراء الاخرين منذ زمن طويل ، فقد رحت انتظر ظهور الكونت بشيء من الرعشة ، كصاحب حاجة من الاقاليم ينتظر دخول الوزير .

ثم فتح الباب ، ودخل الغرفة شاب وسيم في نحو الثانية والثلاثين من العمر . واقترب مني الكونت بمودة وصراحة ظاهرتين . فحاولت ان ابدو مسيطرا على نفسي ، وشرعت اقدم نفسي ولكنه سبقني . ثم جلسنا معا ، وسرعان ما بدد حديثه ما بي من تهيب وانكماش . وما كدت استعيد مظهري العادي حتى دخلت الكونتيسة فجأة ، فازداد ارتباكي اكثر من قبل . لقد كانت جميلة حقا. وقدمني الكونت اليها ، فرحت احاول استعادة وضعي الطبيعي ، ولكنني كلما حاولت الظهور بمظهر هادىء ازداد شعوري بالارتباك . ولكي يعطياني فرصة استعيد بها رباطة جأشي وآلف فيها هذه المعرفة الجديدة شرعا يتحادثان معا ، معتبرين اياي جارا طيبا ارتفعت الكلفة بينهما وبينه . في تلك الاثناء

رحت اذرع الغرفة ، واتفحص الكتب والصور .

انني لست خبيرا بالصور ، غير ان احداها استرعت انتباهي . انها تمثل منظرا في سويسرا ، ولكن لم يكن التصوير هو الذي استرعى انتباهي ، بل كون القماش مثقوبا من اثر رصاصتين اخترقتاه ، احداهما فوق الاخرى مباشرة .

فالتفت الى الكونت وقلت : « هذه رمية رائعة » .

فاجاب : «نعم ، انها طلقة مدهشة» ثم تابع : « هل تجيد اطلاق النار ؟ »

فاجبت : « بشكل مقبول » . وقد سرني ان يتحول الحديث اخيرا الى موضوع مألوف لدي . وتابعت كلامي « على بعد ثلاثين خطوة استطيع ان ارمي ورقة دون خطأ — واعني ، طبعا ، بالمسدس الذي تعودت استعماله » .

فسألت الكونتيسة باهتمام كبير ظاهر في نظرتها : « صحيح ؟ وانت ايضا يا عزيزي ، أتستطيع ان تصيب ورقة عن بعد ثلاثين خطوة ؟ »

فاجاب الكونت : « سنجرب هذا يوما ما . في الماضي لم تكن رمايتي سيئة ، ولكن لقد مضى علي اربع سنوات لم المس فيها مسدسا » فعلقت على هذا قائلا : « اوه ! في تلك الحالة استطيع ان اراهن على ان سعادتك لن تصيب ورقة عن بعد عشرين خطوة . ان المسدس يحتاج الى تمرين يومي مستمر . انني اعرف هذا بالتجربة . في فرقتنا العسكرية كنت معروفا بين احسن الرماة ، وقد حدث مرة انني لم المس المسدس لمدة شهر كامل ، لانني ارسلت مسدسي للتصليح ، فهل تصدق يا صاحب السعادة ، انني حين عدت الى اطلاق النار بعد ذلك اخطأت اربع مرات متتابعة في اصابة زجاجة على بعد عشرين خطوة ؟ وقد حدث ان الكابتن ، وهو من ذوي النكتة والدعابة المرحة ، كان قريبا مني فقال لي : « من المؤكد يا صديقي انك لن ترفع يدك ضد زجاجة بعد الان » . كلا يا صاحب السعادة يجب ان لا تهمل التدرب ، والا فقدت يدك حالا مقدرتها على اصابة الهدف . انابرع رام عرفته في حياتي كان يتدرب على الرماية على الاقل ثلاث مرات كل يوم قبل العشاء . لقد اعتاد ذلك مثل اعتياده شرب قدح البراندي يوميا .

وبدا الكونت والكونتيسة مسرورين لانني بدأت اتكلم بطلاقة . وسأل الكونت :

« واي نوع من الرماة كان ؟ »

« لقد بلغ من احكام الرماية ، يا صاحب السعادة ، بحيث انه لو راى ذبابة تقف على جدار — انك تبتسم ايها الكونت ، ولكنني اقسم لك بالسماء أن هذا صحيح — لو راى ذبابة لنادى قائلا (كوزكا ، هات مسدسي) فيحضر له كوزكا مسدسا محشوا — بنغ . واذا الذبابة مسحوقة على الحائط » .

فقال الكونت : مدهش وماذا كان اسمه ؟

— « سيليفيو يا صاحب السعادة »

فهتف الكونت مذعورا : «سيلفيو؟ وهل عرفت سيلفيو ؟ »

— « وكيف كان يمكن ان لا أعرفه يا صاحب السعادة ؟ لقد كنا صديقين حميمين ، وكانت فرقتنا تستقبله كأخ ضابط . ولكن لقد مرت خمس سنوات لم اسمع فيها شيئا من اخباره . واذن فانت ايضا تعرفه يا صاحب السعادة ؟ »

— « اوه ، نعم ، لقد عرفته معرفة حسنة . هل اخبرك قط بحادثة غريبة في حياته ؟ »

« اتعني سعادتك الصفعة التي نالها على وجهه من احد المحتالين في حفلة الرقص ؟ » .

« وهل اخبرك باسم ذلك المحتال ؟ »

كلا يا صاحب السعادة ، انه لم يذكر اسمه قط ... « ثم تابعت مستدركا بعد ان حزرت الحقيقة : آه ، عفوك يا صاحب السعادة !... لم اكن أعرف ... أمن الممكن ان تكون انت ؟ »

فاجاب الكونت ، وفي نظرته حرج غريب : « نعم ، انا نفسي ، وتلك الصورة التي اخترقها الرصاص هي تذكار للقائنا الاخير » .

فقالت الكونتيسة : « آه ، يا عزيزي ! بحق السماء لا تتحدث عن ذلك ، انه ليرعبني كثيرا ان استمع الى هذا الحديث » .

فاجاب الكونت : « كلا ، سأروي كل شيء . انه يعرف كيف اهنت صديقه ، ومن العدل أن يعرف كيف انتقم سيلفيو لنفسه » .

ودفع الكونت كرسيه نحوي ، ورحت اصغي بكل اهتمام الى القصة التالية :

لقد تزوجت منذ خمس سنوات ، وقضيت الشهر الاول — شهر العسل — هنا في هذه القرية . انني مدين لهذا المنزل باسعد لحظات عمري ، كما انا مدين له بواحدة من اشد الذكريات الما .

في احدى الامسيات خرجنا معا للنزهة على جوادينا وقد حرن جواد زوجتي ، فانتابها الخوف ، وسلمت زمامه الي وعادت الى البيت ماشية . واما انا فعدت على ظهر حصاني . وفي ساحة البيت رأيت عربة سفر ، وقيل لي ان رجلا ينتظرني في مكتبي ويأبى ان يذكر أسمه ، ولكنه يقول ان له عملا معي . فدخلت الغرفة ورأيت رجلا في الظلام يعلوه الغبار ، ولحيته مضى عليها عدة ايام دون حلاقة . كان يقف هناك قرب الموقد . فدنوت منه محاولا ان اتذكر ملامحه .

فقال بصوت اجش : « اتراك لا تعرفني ايها الكونت ؟ » .

فصرخت : سيلفيو ! واعترف انني احسست فجأة بشعر راسي يقف كله منتصبا .

فتابع كلامه : « تماما ، ان لي طلقة مستحقة ، وقد جئت لكي افرغ مسدسي . أانت مستعد ؟ »

كان مسدسه يطل من جيب جانبي

تدرعت أثنتي عشر خطوة واتخذت مكاني هناك في الزاوية ، وانا اتوسل اليه ان يعجل باطلاق النار قبل ان تصل زوجتي . فتردد ، وطلب انارة الغرفة . فجيء بالشموع ، ثم اغلقت الابواب ، وامرت بعدم السماح لاحد بالدخول ، ثم عدت ارجوه ان يطلق النار . فسحب مسدسه وسدده نحوي ... فرحت احسب الثواني ... وانصرف تفكيري اليها . ومرت دقيقة رهيبة ، ثم خفض سيلفيو يده وقال :

«يؤسفني ان المسدس ليس محشوا بحبات الكرز ... ان الرصاصة ثقيلة . ويخيل الي ان هذه ليست مبارزة ، بل هي اغتيال ، وليس من عادتي ان اسدد رصاصي الى رجل اعزل . فلنبدا المبارزة من جديد . سنجري القرعة لنتفق على من يبدأ اولا» .

فدار راسي بشدة ... اظن انني اعترضت ... واخيرا حشونا مسدسا آخر ، ولففنا ورقتين ووضعهما في قبعته ـ القبعة عينها التي اخترقتها رصاصة مني من قبل ـ ومرة اخرى سحبت الرقم الاول .

ـ فقال : انك محظوظ بشكل شيطاني ، ايها الكونت . واتبع كلامه بابتسامة لن انساها ابدا .

لست أدري ماذا جرى لي ، ولا كيف أستطاع ان يضطرني الى ما فعلت . غير انني اطلقت النار فاصبت تلك الصورة .

واشار الكونت باصبعه الى الصورة المثقوبة ، وكان وجهه مشتعلا كالنار بينما كان وجه الكونتيسة من الخوف اشد بياضا من منديلها ، واما انا فلم استطع ان احبس تنهدة في حلقي .

وتابع الكونت حديثه : لقد اطلقت النار ولكنني اشكر السماء لانني اخطات الهدف . ثم جاء دور سيلفيو ... لقد كان في تلك اللحظة رهيبا حقا ... رفع سيلفيو يده ليصوب المسدس نحوي ، واذا بالباب ينفتح فجأة ، وتهرع ماشا الى داخل الغرفة صارخة فتلقي بنفسها على عنقي ثم فرد الي حضورها كل شجاعتي .

فقلت لها : الا ترين يا عزيزتي اننا نمزح ؟ لماذا انت خائفة ؟ اذهبي واشربي كأس ماء ثم عودي الينا . سأقدمك الى صديق وزميل قديم .

ولئن ماشا ظلت غير مصدقة ، فالتفتت الى سيلفيو الرهيب وسألت : ـ « قل لي ، هل يقول زوجي الحقيقة ؟ اصحيح انكما تمزحان فقط ؟ »

فاجاب سيلفيو : انه يمزح دائما ايتها الكونتيسة . في احدى المرات صفعني على وجهي مازحا ، وفي مرة اخرى اخترق قبعتي برصاصة مازحا كذلك ، والان حين اطلق علي النار فاخطأني كان كل ذلك مزاحا . وانا الآن بدوري اشعر بميل الى المزاح كذلك .

قال ذلك ورفع يده بالمسدس ليصوبه نحوي على مرأى منها ، فرمت ماشا بنفسها على قدميه .

فصرخت بها حانقا : انهضي يا ماشا الا تخجلين ؟.. وانت يا سيدي الا تكف عن الهزء بأمراة مسكينة ؟ هل تطلق النار ام لا ؟

« الكوميديا الانسانية » .
الانسانية » فقد وضعت بتقصد لتحدي اضم لنا منظرا شاملا واسع الاطراف على اطلاءاقاصيص متشابكة ، كان ستتذكرني داها مصنفة على وفق لضميرك . اختلافات العالم

ثم استدار لينصرف ـ ربما لاندفاع قليلا عند الباب ونظر الى الصفترى التي اخترقتها رصاصتي ، واطلق عليها رصاصة دون تسديد ، ثم اختفى . أما زوجتي فكانت قد غابت عن الوعي ، ولم يجرؤ الخدم على ايقافه ، فقد كان منظره وحده كافيا ليملأ قلوبهم رعبا . فنزل الدرج ، ودعا الحوذي ، ومضيا بعربتهما قبل ان أتمكن من ان اثوب الى رشدي .

ثم صمت الكونت ، وبهذه الطريقة عرفت نهاية القصة التي كانت بدايتها قد تركت لدي من قبل اثرها العميق جدا . انني لم اعد أرى بطلها مرة اخرى ، وعلمت ان سيلفيو قد قاد عصابة من الثائرين في أثناء ثورة اليكسندر ابسيلانتي ، وانه قد قتل في معركة سكوليانى .

عمان — عيسى الناعوري

اوج القصة الفرنسية الحديثة

بقلم ج. م. كون

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

باستهلال القرن التاسع عشر ، لم تعد الكوميديا او المقالة او الفلسفة او التاريخ او الموعظة بقادرة على اطفاء غلة القراء وخاصة الذكور منهم ، لان الامكانيات الطباعية الحديثة جعلت للقصة قراءها ، كما ان ظهور الطبقة المتوسطة واشتراك المرأة في الحياة الفعالة وسعا من مجال الخيال القصصي ، فلم يعد الصدق القصصي ضروريا كما كانت الحال بالقياس الى الكاتبين الانكليزيين سكوت وديفو ولا اللجوء الى التقاليد التي استتبعت ظهور « اميرة كليف » والصلات المخطرة (١) . ثم حدثت الردة الملكية بعد الثورة وما اعقبها من احداث ضخام . واول الكتاب الذين واكبوا هذه الردة هو بنيامين كونستان (١٧٦٧ – ١٨٣٠) وهو سياسي ليبرالي الف قصة تحت عنوان « ادولف » ثم ثناه بـ « الكتاب الاحمر » . كان هذا الكاتب عشيقا لمدام ستايل ، صاحبة الصالونات المشهورة ، المعروفة بفتنتها الاخاذة ، التي كانت محط الامال وقبلة الرجال . ان القلب والعقل هما الشغل الشاغل الذي ركز عليه الكاتب اهتمامه واولاه كل جهده ، فاعمل في هذا الموضوع فكره تشريحا ودرسا وبذا حاول ان يتجاوز « فرتر » ويستعلي عليه . اما الينور ، بطلة القصة ، فهي خليلة خيالية لادولف ، وهي اكبر منه سنا ، انتشلها من السأم والتبرم ، لكي تملأ بعض الفراغ في نفسه ، ذلك الفراغ الذي لم يفهمه فهما صحيحا تاما ، وعلى الضد من شخوص « الصلات المخطرة » فانه لا يسر باغوائها ، وحين يرنو الى التخلص منها يتدخل الالتزام الاخلاقي في صميم الموضوع . فلا تتم نجاته منها الا بالتخلي عنها ، وهذا ما يدفعها الى الموت دفعا ، بعد ان يكون قد اختار خليلة اخرى . ان « ادولف » ترينا مأساة الناس الحساسين في مجتمع فاقد الحس . اما بطله الذي هو طفل عصره فيبدأ في فقدان ايمانه بنفسه ويستمر المجتمع بغير تبدل او تغيير .

ومن كتاب هذه المرحلة هنري بيل (١٧٨٣ – ١٨٤٢) الذي فاق كونستان في عالم القصة ، من حيث اجادته ولوذعيته وقدرته التحليلية واوصافه الدقيقة واقتصاده الرائع في رصف كلماته ووضعها في مواضعها الملائمة وقد اتخذ هذا الكاتب اسم ستندال ، نظل هذا الاسم متعلقا به اكثر من تعلق لقبه . استخدم هذا القاص حياته نفسها موضوعا رئيسيا لكتابته ، فبنى منها حبكات تتناول بالبيان المراتب التي تفصل الحب عن حب الذات . كان ستندال ضابطا غير حربي في جيش نابليون ، وقد كان من مؤيدي الثوار الايطاليين ولو تأييدا غير فعال . وبعد ان اصطدم بالحب وجها لوجه اصيب بنكسة شديدة ، فقضى سني حياته الاخيرة في زاوية مهملة من ايطاليا بصفته قنصلا لفرنسا في سيفينافيتشيا . اما نفسيته فكانت مقسمة بين عقله النير الذي يمثل القرن الثامن عشر وبين نوازعه العاطفية التي ظن انها من نزوات دمه الاسباني . كتب اول ما كتب « في الحب » وهي دراسة غير عاطفية تناولت هذا الموضوع في تشعباته الكثيرة . ثم اعقبه بـ « راسين وشكسبير » وبذا انغمس في تيار المناظرات الادبية حيث أيد الرومانسيين ثم تنصل منهم سريعا لاعتقاده بان هذه المدرسة الجديدة شديدة الكاثوليكية وكثيرة الاسرار . على النقيض من عنعناته المناوئة لرجال الاكليروس وهذا ما نراه واضحا جليا في « الاحمر والاسود » حيث يناصر الحمر ضد السود .

اما بطل « الاحمر والاسود » فهو جوليان سوريل ، وهو شخص أجنبي عن المحيط الذي انتقل اليه ، فيه ما في ستندال من ثورة فكرية عاصفة ، وهذا امر نجده واضحا في جميع مؤلفاته ، لانها تعكس بامانة وسهولة نفسية الكاتب بحيث تجد شخصيته جلية الوضوح ، مكشوفة الملامح في ابطاله وخاصة في جوليان سوريل ، الذي تحط به احوال حياته المرعبة في دار احد الاغنياء لتدريس ابنه بعضا من المعلومات الاولية ، ولكنه بدلا من ان يولي وجهه شطر مهنته وما انتدب اليه يغري زوجة مخدومه . ثم يتصل بفتاة اجنبية مثله فتتوشج بينهما صلات الحب العنيف والمقت العنيف ، الاول كل حيال الاخر ، والثاني يجمع بينهما من جهة ، وسائر العالم من جهة اخرى .

ان جوليان سوريل لم يكن ليخشى شيئا خشيته من الفضيحة ومن الاستخفاف وزراية الناس ، وبسبب من ذلك كله قتل خليلته الاولى وتحمل الموت على المقصلة .

قد تعد « الاحمر والاسود » ميلودرامية اكثر من اللزوم ، لكن دقة الملاحظة النفسية ومشاهدها الفظيعة الفاضحة وحوارها الاعتيادي ، الذي نجابه امثاله كل يوم ، هذه الامور جميعا تكشف عن التناقضات والصراعات التي تناوشت اذهان شخوصه . اما اللارومانسية الساخرة المنحدرة احيانا الى الرقة واللطف والشفافية فقد جعلت من القصة شيئا اعظم بكثير من حبكتها . ومهما يكن من امر فان شخوص ستندال متعددة المشارب ، يزدهيها دهاء شديد يجعلها لا تستطيع القيام بادوارها بنفسها ، ولذا نراه يلعب بها كيفما يشاء وعلى النغمة التي يريد .

ثم نأتي الى رائعة ستندال الثانية « دير بارم » . تستمد حبكة هذه القصة وجودها من اقصوصة ايطالية جرت حوادثها الخيالية في دولة بوليسية خيالية ايضا وفي فترة من التاريخ غير معروفة ، لكنها قريبة العهد .

والبطل ، فابريس ، هو انبل نفسا من جوليان واقل منه تحسبا للعواقب ، يرمز سجنه الظالم في القلعة الى وقوع الناس غير السياسيين الطيبين المسالمين في شراك السياسة. والواقع ، فان استنتاجات الكتاب السياسية هي اجلى واوضح من تلك المنثورة في « الاحمر والاسود » وهنا تبدو الميلودرامية اقرب ما تكون الى السخرية وتكون النهاية تهكمية غير مقنعة .

لقد اطلق سراح البطل من زنزانته من طريق مؤامرة قذرة كتلك التي ادت به الى السجن . اما علاقته الغرامية بابنة السجان فتصبح ، بمرور الزمن ، مؤامرة من طراز اجتماعي رفيع ، ثم ينجح في تسنم منصب ديني عالي الشأن . ثم يزداد عدد أتباعه ومريديه لما عرف به من (تقى واخلاقية مثالية وفصاحة كلامية) . ان الليبرالية لا تنتصر بل نراها تضعف وتتلاشى وتترك السبيل أمام الدكتاتور ليكون اوسع كرما واندى يدا ، لانه لم يعد يجد قدامه أعداء مختبئين . ومن هنا ، فان الشخوص وطبائعها وحوافزها ومنافساتها أكثر اهمية من الحبكة نفسها .

لم يعرف ستندال باسلوب شخصي معين ، انما كان يكتب عفو الخاطر والمناسبة كيفما اتفق وبلغة بسيطة ساذجة لا تفرق في شيء عن الحوار الاعتيادي المعروف ، وهذه اللارومانسية الصلعاء البلقاء لم تحصل له غير قراء قلائل في حياته ، وقد رضي بهذه القسمة المقدرة له واستسلم اليها ، انتظارا لمعرفة قدره ، حق قدره ، بعد مائة سنة من وفاته ، وهذا ما تحقق اذ تمكن « أحمر » الثورة الجمالية من الانتصار على « اسود » الظلامية والهوى والتحامل . وبذا انتصر ستندال على أعدائه انتصارا مبينا واصبح اسهامه في العمل الادبي المجيد حقا لا ينكره عليه مكابر ، واصبحت كل قصاصة من الورق خلفها اسهاما لتعريفنا بهذا الرجل الذي لا ينضب معينه .

ان الرأي العام في القرن العشرين تقبل اونوريه دي بلزاك (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) بتحفظات اكثر مما فعل تجاه تونستان او ستندال ، ومع ذلك فهذا كاتب ابدع عالما كاملا يمثل فرنسا الردة الملكية احسن تمثيل ومع انه كان ملكيا ، على الضد من ستندال الليبرالي المستقل ، فانه كان متعلقا بالقصة البرجوازية التي وضع اسسها ريستف دي لابريتون ، كاتب القرن الثامن عشر ، المعروف بصراحته ولذعته واسهابه واطنابه . كان بلزاك يعتمد اعتمادا تاما على التفصيلات الواقعية الدقيقة ولذا قضى الكثير من وقته في تجميعها حتى تكون مادة كتابته وافية ، ومع هذا الاعتماد على الواقع في كتابته ، فقد كان موقفه من الحياة موقفا سحريا في اساسه . اشتهر بلزاك بطموحه البالغ للشهرة والمال والخليلات والقصور والمرتبة الاجتماعية ، فعد هذه الاشياء مادة الحياة المعاصرة وجوهرها . لكنه فضلا عن ذلك رأى وجود احتمالات لتجارب اخرى وانجازات غيرها وعلى هذا الاساس بنى « الدراسات الفلسفية » وهي جزء من كتابه العظيم « الكوميديا الانسانية » .

اما « الكوميديا الانسانية » فقد وضعت بتقصد لتحدي كوميديا دانتي ، وهي تقدم لنا منظرا شاملا واسع الاطراف والآفاق ، متألفا من قصص وأقاصيص متشابكة ، كان الغرض منها تصوير الانسانية باسرها مصنفة على وفق نظرية خاصة في الفكاهة ، وعلى حسب اختلافات العالم الحيواني . تتحرك شخوص بلزاك جميعا تبعا لاندفاع عاطفة منفردة ، وكلها مخلوقات بيئتها الخاصة . فترى المحتالين والبخلاء والمحاربين القدماء والعوانس والصحفيين الطموحين ، تراهم جميعا مدفوعين بمطامع وكراهيات وغراميات خشنة عنيفة . وعلى الضد من التمايز الذهني لدى ستندال ، فان شخوصه لا تعرف هذا الامر ، مما جعلها اولى بالنجاح من شخوص ستندال ، وبالتالي جعل الحدث يلائم الشخص احسن الملاءمة . لذا نجد القارىء مأخوذا بالحوادث النموذجية ، ملاحظا تنكر بنات غوريو الثلاثة لابيهن العجوز واستنزاف ثروة آل هيلو من قبل قريبهم الفقير الدنيء النفس المنحط العقل ، والكوارث المالية التي جرفت سيزار بيروتو ، تاجر العطور ، ذلك الانسان الضعيف في تفاؤله ، ونجاح مؤامرة خادمه الفاضل ، الذي أصبح بارون بوبينو في المستقبل .

كان بلزاك من المهتمين العظام بجمع المعلومات العامة والفرائد الثمينة وقد ضمن كل ذلك في قصصه . ولما كان صغيرا التحق باحد المحامين ، وعنده تعلم تفاصيل القانون الجنائي ، وهذا ما اغنى متن قصة «سيزار بيروتو» ولما تقدمت به السن بعض الشيء ، اشتغل في مهنة الطباعة والنشر ، ومعرفته بهذه الصناعة مونته بمادة قصته (اوهام ضائعة) . غير انه لم يستمد من سيرة حياته الا الشيء النزر . ومع ذلك فرؤياه لعالم النساء المتاجرات باعراضهن والاغنياء الداعرين كانت تجمل من هذا المجتمع المتميز عن سواه ، شيئا بعيد المنال بالقياس اليه وهو ذلك الخادم الفقير في منشئه . اما اشخاصه الفاتنون فهم أناس فضوليون ، اصحاب بنوك ارتقوا الى الى ما ارتقوا اليه من لا شيء ، واناس خلعاء مشهورون كراستيناك ومجرمون سريون كفوترين . اما بطلاته فيشبهن بطلات دكنز ، نساء كثيرات الفضيلة ، قليلات التجربة العقلية .

ليس من قصة كاملة في « الكوميديا الانسانية » ومع ذلك فـ « قس تور » هي اعظم نجاحا من كل ما كتبه ترولوب (٢) . اما مشاهده الباريسية او التي استمدها من الريف فكلها مفعمة بالحركة والحيوية . وفي « الدراسات الفلسفية » عدد من الحكايات تعدل حكايات هوفمان أو تبزها ، في صبغتها التأريخية الغريبة وفيما

(١) مؤلفة القصة الاولى هي مدام دي لافايت ومؤلف القصة الثانية هو دي لاكلو وقد ترجمت الى العربية ، المترجم . (٢) هو القاص الانكليزي المعروف مؤلف « ابراج بارتشيستر » ويعد من كتاب الدرجة الثانية وهذا ما يقصده الكاتب بقوله (المترجم) . (٣) من كلام المترجم .

تثيره من فزع ورعب ، وما تدل عليه من معرفة سرية . ان كتابات بلزاك المبكرة عرفت بتأثرها بنفوذ ولتر سكوت والسيدة رادكليف ، وفي غضون الدور الرومانسي كان اقبال الجمهور على القصة التأريخية شديدا وبخاصة ما له صلة بالعصور الوسطى التي اعتبرت بالقياس الى الرومانسيين ، العصر الذهبي .

ومن الكتاب الذين كتبوا في هذا الشأن فيني وهوغو والثاني هو مؤلف القصة العظيمة « نوتردام دي باري » وقد شاركه في جهاده هذا الكسندر دوماس (١٨٠٢ – ١٨٧٠) وهو حليفه في حربه المسرحية، وقد كتب العديد من الحكايات المتعلقة بفرنسا في القرن السابع عشر ، فاثبتت هذه الحكايات جدواها باقبال الجمهور عليها اقبالا منقطع النظير ، حتى انه جمع عددا من المساعدين لزيادة الانتاج على نطاق واسع . اما اكثر هؤلاء الكتاب اصالة فهو بروسبير ميريميه (١٨٠٣ – ١٨٧٠) وهو لغوي وعالم آثار يزين كتابته اسلوب اخترعه بنفسه اختراعا ، ومعذلك فهو يقل عنهم شعبية وشهرة . وميريميه ، بصفته كاتبا تأريخيا ، يمتاز بصفائه ووضوحه وصدقه بالقياس الى دوماس . وصورته المذبحة سانت بارتيليمي في كتابه « سجل تأريخ حكم شارل التاسع » هي ادعى الى الاقناع والتصديق من وصف دوماس للحوادث نفسها . كان ميريميه رومانسيا كابحا جماحه ، مع عزلة تشبه عزلة ستندال صديقه . لذا فاقاصيصه القصيرة التي تعالج حياة الناس الغريبي الاطوار ، والتي تتناول حكايات العواطف الجائحة في اسبانيا ، ليست بذات اثر كبير وجدوى مهمة ، وهي طرف من القصص الساخر ، ومصداق ذلك « كارمين » و « كولومبا » .

ان اعظم شخصية روائية في ذلك العصر ، كانت امرأة انتحلت اسم جورج صاند (١٨٠٤ – ١٨٧٦) ويعود الكثير من شهرتها ، كبايرون ، الى اسطورة حياتها . فحوادثها الغرامية العاصفة مع دي موسيه وشوبان والكثيرين غيرهما ، وانوثتها الجامحة وانسانيتها ، جلب لها العديد من قراء قصص العاطفة المحرمة والتمرد الاجتماعي .. اما كتبها التي لا تزال تقرأ فهي قصص الرعاة التي كانت قد كتبتها في النصف الثاني من حياتها ...

اما القصتان اللتان فاقتا كل ما كتبته جورج صاند فهما « بؤساء » فكتور هوغو وقصته « كادحو البحر » وبطل القصة الاولى هو جان فالجان ، الانسان الذي تحمل ما تحمل من عذاب السجن والقهر والاضطهاد ، ومع ذلك ظل رأسه عاليا شامخا ، لانه عرف الحق فاتبعه ، وتنصل عن الباطل فزهقه ، والقصص من اطول قصص القرن التاسع عشر وهي تنافس « الحرب والسلم » في طولها ، لكن فيها الغث والسمين من الاداء القصصي ، ومن الاصالة القصصية والحشوية الاعتيادية التي هي اشبه ما تكون بالتقارير الصحفية المملة ذات الاطناب غير اللازم والاستطراد غير اللائق (٣) . ومع ذلك ، فالينابيع الانسانية الثرة العميقة التي تكتنفها وتجعلها من اعظم القصص المشربة بالروح الانسانية الرفيعة ، وهي تزود القارىء الذي يستطيع متابعة القراءة بغير ملل او كلال ، بفيض من الانارة الانسانية.

كانت جورج صاند في اواخر حياتها موضع ثقة غوستاف فلوبير (١٨٢١ – ١٨٨٠) الذي كان يصغرها بعشرين سنة ، والذي كان يجهد نفسه في كتابة قصة بعد ان اتم وضع قصتين ، والقصة التي كان يجهد نفسه في وضعها هي « التربية العاطفية » وعلى الضد من ستندال او جورج صاند او بلزاك كان فلوبير بحاجة الى تلقائية هؤلاء ، اما ما امتاز به وعده فضيلة فهو ضرب من الدقة اللفظية التي لم تكن سوى وعكة نفسية . اما اخلاصه لفنه الذي وكد عليه في كل رسائله فلم يكن غير الوجه الثاني من حياته الجافة الفارغة وصداقاته التي ذبلت واضمحلت ، وغير بروده تجاه خليلاته ، واعتماده المديد العهد على والدته المسنة .
ثم لنلتفت الى « مدام بوفاري » ، طرفة فلوبير ، فقد استغرقت اربع سنين ونصف لكتابتها . وهي قصة معتنى بها ، تتناول حياة امرأة تافهة ، متمردة على محيطها النورماندي المتزمت ، وهو المحيط الذي كان منشأ حياة فلوبير المتبرمة ومدارها . لا سيرة شخصية واضحة هنا . ومع ذلك فقد اندمج فلوبير ببطلته اندماجا كليا ، حتى انه لما جعلها تقضي على حياتها بتناولها جرعة من الزرنيخ ، مرض هو نفسه عدة ايام . سيق الكتاب للقضاء بتهمة الخلاعة والمجون وهذا ما زاد الطين بلة لاشمئزاز فلوبير الاعتيادي من العالم ، لكن هذا الامر دفع بالكتاب الى الشهرة .

ثم كتب فلوبير « سالامبو » وهي قصة ، مليئة بالوثائق كاختها « مدام بوفاري » تتناول قرطاجنة القديمة ، وهي محتقنة بالتفصيلات الكثيرة الملونة . اما « التربية العاطفية » وهي التي تقص حكاية جيله ، بآماله الثورية ، فالذي يفسدها هو الضغينة التي تكتنفها لا وفرة التفاصيل التي تتناثر هنا وهنا . وبهذا الشأن كتب مرة الى جورج صاند قائلا: «آه كم انا متعب من العامل القذر والبرجوازي الضعيف والفلاح الاحمق ورجل الدين الكريه » ومن هنا فلم يكن قادرا على ان ينشر النعمة الحية التي واكبت ذلك الفجر الثوري . واحسن ما فعله انه رسم صورة للحب الرومانسي دون اللجوء الى السخرية التي كومها على ايما بوفاري لانها عاشت في فردوس شبيه بذلك الفردوس الذي امتاز باحلام المراهقة .

وبعد أن كتب فلوبير « الحكايات الثلاث » شرع في كتابة « بوفار وبيكوشيه » لكنه لم يتمها وذلك بسبب التبرم الذي اخذ بخناقه والاشمئزاز الذي جعله ينفر من عمله الادبي نفسه ، والقصة هي خلاصة السخافة التي تتأتى من المواقف المضحكة التي يدفع بشخوصه السخيفة اليها دفعا.
تستند شهرة فلوبير الى صناعته الكاملة ، وقد نال

بصفته فنانا أكثر مما هو اهل له من الثناء والمديح ، ومع ما في تقنيته من لوذعية تامة، ثمة شيء مفقود في عمله باسره، ذلك انه يفتقد اتساع رؤيا ستندال ، وقدرة بلزاك المبدعة العظيمة ، وعمق فهم دوستويفسكي ، او العطف الهادي الذي منحه تولستوي الى آنا كارينينا ، وهي امرأة تشترك في سمات كثيرة مع ايما بوفاري .

ومع فلوبير دخلت القصة الفرنسية في دور الضمور والانحلال . فتلميذه غي دي موباسان (١٨٥٠ — ١٨٩٣) كان شابا ذا موهبة غير محدودة ، كرس نفسه تقريبا لكتابة القصة القصيرة ، وقد نجح في احسن ما كتب في ابداع صفحات قلائل فيها من الواقع الاخاذ ما كان يقتضي لفلوبير قصة كاملة من اجل ان يماثله في حيويته . غير ان موباسان كان من طراز الكتاب ذوي الوزن الخفيف ، يبلغ ارقى مدارج السعادة حين يرسم الشخوص النورمانية بعاطفته الساخرة الحادبة ، وحين يتناول الحوادث الصغيرة التي تلازم قضايا الجنس في اخفاقها وانتصارها ، في هبوطها وارتفاعها . عاش موباسان على قلمه بعد تخليه عن وظيفته ، وهذا ما حدا به الى أن ينتج انتاجا غزيرا . ثم انحطت صحته فاضطر الى الاعتماد على التعابير الميكانيكية الامر الذي جعله يعد من الكتاب الثانويين حتى في يومنا هذا . اما موقفه من الحياة فقد كان موقفا تشاؤميا لانه لم يمنح احدا من شخوصه فضيلة اعلى من طيبة القلب البسيطة . وفضلا عن ذلك فانه لم يقحم نفسه في التعليقات الاجتماعية . اما احسن ما كتبه فهي « بول دي سويف » من الحكايات النورمانية ، وكذلك « بيت مدام تيليه » و « زهرة مدام هسون » والجميع قصص لا يمكن نسيانها لما فيها من طرائف ونكات وسمو ، ولبساطة شخوصها الارضية . و « بيل — امي » ربما هي احسن قصصه الست القصيرة ، وهي تتناول حياة صحافي ، يعرفها موباسان احسن المعرفة .

اما الإخوان ادمون (١٨٢٢ — ١٨٩٦) وجول دي غونكور (١٨٣٠ — ١٨٧٠) اللذان كانت قصصهما مليئة بالوثائق كما هي الحال في « سالامبو » فهما اكثر من معاصريهما من الكتاب جدية الا انهما كانا اقل حظا من النجاح . لقد كتبا عن حياة العمال والسرك وتحدثا عن مشارف العالم الفني وجمعا كل التفصيلات ذوات الصلة بموضوعاتهما حتى التعابير العامية السائدة لم تكن لتنجو منهما . ومهما يكن من امر فان شهرتهما لم تبق على الزمن بسبب قصصهما ، بل بسبب تعليقاتهما التي تناولت كل الفنون في عالمها الخاص تناولا حيا ، فيه عمق واصالة وملاحظات دقيقة بارعة . ولعلهما قاما بدور اعظم مما اصابهما من نصيب من الشهرة في الحقل الادبي ايضا ، ذلك انهما من اوائل القاصين الذين ابدعوا بطلات عصابيات . ولا شك في ان الاسلوب البسيط الذي امتازا به هو الذي اثار ضغينة فلوبير عليهما .

وفي هذه المجموعة من الكتاب الواقعيين يبرز أميل زولا (١٨٤٠ — ١٩٠٢) وهو الذي سار بالنظرية الواقعية من الواقعية المحضة كما كان يبغيها فلوبير وموباسان الى مرحلة الطبيعية التي توصل اليها الاخوان غونكور في قصتهما العمالية « جيرميني — لاسيرتو » وقد عرفهما زولا في مقدمة « تيريز راكين » بكونها تشريحا ادبيا . نظر زولا الى الانسان نظرة فسيولوجية عارية وجعل من نفسه عالما . لكنه ، كان — في الواقع — ميلودراميا كهوغو ، وقد قال ذات مرة : « العمل الفني هو زاوية من زوايا الطبيعة ينظر اليها الناظر على حسب مزاجه » . كانت طبيعته الخاصة ذات حماسة ، غاضبة ، ومبدعة ابداعا عنيفا . ولما كان عصره عصر نظريات وتجارب في موضوع الوراثة ، كتب عشرين قصة عن اعضاء اسرتين متصلتي الرحم ، هما اسرتا روغون ومكار . وقد تصور ، انه بهذا العمل قد ادى خدمة مهمة للعلوم . ومهما يكن من امر ، فالواقع ، انه وصف عالم الامبراطورية الثانية بشيء من الشمول الذي طبقه بلزاك على عالمه مع بعض التحديدات .

ان نظرية المدرسة الطبيعية تقتضي ، او بالحري لا يبررها شيء كاهتمامها بحياة المومسات والسكارى واللصوص . ولذا فسلسلة روغون — مكار ليس فيها الا القليل من جاذبية « الكوميديا الانسانية » أو سلسلة الكاتب الاسباني بيريز غالدوس . على اي حال ، تعد « جيرمنال » التي دبجها زولا من الروائع العظيمة التي تشهد على مكانته في عالم الادب الرفيع ، وهي قصة تبحث عن عمال المناجم والمناجم التي يعملون فيها ، وهي اقرب ما تكون الى الملاحم ، في عصر كان والملاحم على طرفي نقيض . فالحياة الصعبة القاسية والاحتمال والصبر واجواء الظلام والعمل الاجماعي والمعاناة الاجماعية ، كل هذه الامور تجعل « جيرمنال » ديوان شعر بدائي ، تلك السمة التي يجدها المرء لدى وتمان الشاعر الامريكي العظيم ، وهذه الجلالة الخشنة نفسها تكتنف قصته L'Assommoir قصة الحانة ، واية حانة !

كان زولا ، شأنه شأن موباسان ، يسير على حافة الحياة الصحفية دائما . غير انه ، على الضد منه ، غمر نفسه في قضايا عصره ودافع بكرم عن الكابتن دريفوس المسجون ظلما وعدوانا ، كما بشر باشتراكية انسانية علمانية .

اما النظريات الخاصة بالمدرسة الطبيعية فقد دفعت باحد الاعضاء الثانويين في هذه الحلقة ، وهو ج.ك هويزمان (١٨٤٨ — ١٩٠٧) الى التطرف فيما تورط فيه من انحطاط وتعلق به من المذهب الجمالي والكاثوليكية الرومانسية ، وكل ذلك بسبب من اشمئزازه من الواقع الذي كان تحت انفه . كان هذا الكاتب مخلصا لفنه بعصبية كما كانت الحال مع فلوبير ، وقد طور اسلوبا اشد في التعقيد من اسلوب فلوبير ، ولذا فبحثه عن الجنائن الاصطناعية تجعل قراءته متعبة مملة .

الظمأ والينبوع

مهداة الى الصديق الروائي فاضل السباعي من وحي روايته
« الظمأ والينبوع »

قـل : غوي ... فلست انكر اني   بـين ايديـك قد نشرت جناحـي
يا لسقيـا الجمال : يسكر من شوقي ، ويلقـي الفتـون في اقداحـي !
أي خمر سكبتــــه فشراعي بين ايديــــه ملهــم ... ووشاحـي !
الظـلال المفتان تترع اقداحـي حميـا ... فأيـن ايـن صباحي ؟
الكـؤوس الشقـراء تفنـج من حولي ... فانسى بين الكؤوس جراحي
لا تلمنـي ... فنشـوة الشعر اقوى من عتاب ... ومـن ملامـة لاح

تلـك دنيـا من رائـع الفـن تدعونـي اليها ... فكيف كبح جماحي ؟!
تلـك دنيا سحريـة الصنع قد عجت ... وماجت بما يثيـر رياحـي
كيـف اطـوي الحنـين وهي تناديـني اليهــا بدفئهـا المـراح ؟
بـين هذه السطور تعتلـج الاقدار ... تطغي ... بنابهـا السفـاح
بين هذي السطور تضطرب الاهواء ... تضري ... في الف ساح وساح
بين هـذي السطور ملحمة كبرى ، لعمـري ، مزروعـــة بالاضاحـي
معـرض زاخـر ... تالـق شـلالا ... لسقيـــا الابصار والارواح

قـل غوي ... فلست انكر اني شاعر الحب ... والهوى ... والملاح
كيـف أجفو الجمـال حين يساقيني مشوقـا ... ارق .. اعذب راح ؟
كيـف أعصـي الجمـال حـين يناديـنـي ... وآمر الجمال كل طماحي ؟
يا لتلك العيون تضرع في شوق ... وتبكي مـن وجـدها الملتسـاح !
يا لغصـن الريحـان يوشك ان يذوي ... ويعيى عن نهلة من قراح !
يا لتلـك النهـود تاكلهـا الشكوى ... وتفنـى فـي لهفة الاجتياح !

قلـت : عف الفتـى وأعرض مثنافا ... وأغضى عـن الشذا الفـواح
قلـت : عف الفتـى ... فبالعفـاف عـن جلال المروءة المسمـاح !
يـا لـرزء الربيـع يلهـث ظمـآنـا ... وتشـذو دروبه بالاقاحي !
كيـف يشكو الجمـال وهـو امير ... وهو احرى بان يلم جراحـي ؟

حلب
ممدوح مولود

ولا بد لنا في الختام من ان نذكر الفونيس دوديه (١٨٤٠ ـ ١٨٩٧) . اتصل هذا الكاتب بالحلقة الطبيعية من طريق اواصر الصداقة ، غير انه لم يتقبل قط النظريات المتطرفة مع العلم انه كان مقتنعا بفضائل جمع الوثائق . وقد اصدر اول ما اصدر «رسائل طاحونتي» وهي وصف يستند ـ في اصوله ـ الى سناد بروفنسالي ، ثم أستمر في تقديم صور كاريكاتورية لطيفة عن الجنوبيين الثرثارين في سلسلة «تارتارين» . وعندئذ بلغ النضج في (الطبيعية) في كتابيه « جاك » و « صافو » لكنه خفف من غلوائها بعاطفيته الكسول . عد فلوبير دوديه كاتبا ساحرا كما اثر فيه زولا بعنفوان قوته . لكنهما خابا كلاهما في الاختبار النهائي ، لان احدا منهما لم يهتم اهتماما اصيلا بـ (الجمال) وهذا حكم قد يكون عادلا بحق الحركة الطبيعية باسرها ، ولو ان وجهات النظر الحديثة في تقدير الجمال تختلف عن وجهة نظر فلوبير . لان الجمال اذا كان لا بد له من الاندغام في الرؤيا الصادقة العميقة ، وفي لمحات الفنان التي تنحدر الى الصلات الخفية والجذور الرئيسة ، فان زولا ودوديه ليس وحدهما اللذان سيفشلان في هذا الاختبار بل فلوبير نفسه سيظهر فراغه .

ومع ان الحركة الطبيعية عاشت في فرنسا امدا قصيرا فانها أثرت تأثيرا كبيرا في معظم كتاب اواخر القرن التاسع عشر ومن هؤلاء جورج مور وارنولد بنت وجورج غيسنغ وهاوبتمان وسترندبرغ وحتى تولستوي لم يخلص من هذا التأثير الذي اشتد ساعده لكونه يعكس زاوية من زوايا العالم المظلمة بصورة صريحة وأضحة .

بغداد
يوسف عبد المسيح ثروة

ابراهيم عبده الخوري



بقلم ابراهيم عبده الخوري

* * *

للقرية اللبنانية نصيب كبير في العطاء الادبي . ولبسكنتنا ، الرابضة بدلال على كتف صنين ، نصيب بعدما أنبتت رجالات برعوا في انتاجهم الادبي . والشاعر عبد الله غانم واحد من هؤلاء .

هذا الانسان صرف عمره بين اجواءات الادب . كان استاذا للادب العربي طوال خمس واربعين سنة متوالية . وعمل تحت لواء صاحبة الجلالة ، فأصدر جريدة «صنين» يوم كانت هذه البلاد بحاجة الى صحافة كبرى . ثم اسس مجلة شهرية اتخذت طابعا اجتماعيا ، واسماها « الدهر » وقد اشترك في تحرير « صنين » و « الدهر » معظم الاقلام الطليعية عندنا آنذاك ، امثال : الياس ابو شبكة ، ميخائيل نعيمه ، رشيد ايوب ، نعوم لبكي ، نقولا رزق‌الله.

والى جانب عمله الصحفي كان عبد الله غانم يبحث ويراجع في تاريخ البشرية القديم . كان يضع القصص ذات المواضيع اللبنانية الصرفة ، والمنطلقات الانسانية الشاملة . كان يعد المقالات النقدية عن واقع الادب المعاصر ، ويعيد النظر في تمثيليات قصيرة . كان يضع قصائد فلسفية وغزلية ووطنية وسياسية ...

صاحب هذه العطاءات استطاع أن يوفق بين الكلمة المنثورة والكلمة الشعرية . مؤلفاته النثرية دلت على سعة اطلاع وعمق بصيرة . وهي :

ــ « كتاب الاجيال » يقع في اجزاء ثلاثة ، وهو دروس في الميتولوجيا وتاريخ الحضارات . وقد طبع منه الجزء الاول فقط .

ــ « شيطان البرج » تمثيلية مطبوعة .

ــ « بعد الخطيئة » مجموعة قصص مطبوعة تتميز باللون الاقليمي .

ــ « جبل النساك » رواية مطبوعة تدور حوادثها في احدى القرى اللبنانية ، وقد تكون بسكنتنا بالذات .

وله مجموعة قصص قصيرة بعنوان «راهبة وسمسارة» ، ودراسات نقدية في الادب والادباء بعنوان « الحضارة الادبية » ، ومسرحية اطلق عليها أسم « شيرين » ، ومجموعة تمثيليات ومقطوعات وجدانية ، كما له بحث طويل بعنوان « شرح القصيدة المزدوجة في المنطق لابن سينا » . وكل هذه لم تطبع بعد .

اما انتاجه في الحقل الشعري ، فانه على رحابة . له فيه تمثيلية شعرية باللغة العامية ، وهي تحت الطبع ، واسمها « نتيجة الحلم » ، ودواوين اربعة طبع منها واحد فقط وهو « العندليب » .

وضع عبد الله غانم « العندليب » بالعامية . فضم بين دفتيه قصائد فلسفية ووجدانية .. ذاع صيتها تحت الآفاق الشعرية ، ونقلت الى الفرنسية والانكليزية والاسبانية ، واذيع قسم منها من معظم محطات العالم . كما لحن اغلبها ، ولا سيما « دقت على صدري » التي تغنيها فيروز ، وها هي :

دقت على صـدري وقالت لي افتحوا
تا شوف قلبي ان كان بعـدو مطرحو
وان صح ظني وشفت لو عندك رفاق
بسترجعو وما بعود خليـك تلمحو .
وان صح ظني وشفت لو عندك رفاق
بسترجعو وبنسى لياليـنـا العتـاق
قلبي ان هجرتك يـدبحو مره الفراق
وان ضم عندك ــ كل ساعة بتدبحو

اما الثلاثة الباقية فهـي « الرؤى ، ضبـاب ، فـوق الضباب » .

«الرؤى» مجموعة قصائد اجتماعية ووطنية وسياسية، قالها الشاعر في مناسبات مختلفة وتقع في جزاين . وانت تقراها تجد ان صاحبها اتبع فيها النهج الكلاسيكي على تجديد في التركيب ، واضفى على معانيها وصورها تلاوين جـذابـة .

و « الضباب » مجموعة شعرية في جزاين ايضا . انها عبارة عن قصائد متشعبة المواضيـع ، منها الموضوع الاجتماعي والموضوع الغزلي ، ومنها الفكري والفلسفي . وقد تدفقت في جميعها شاعرية عبد اللـه غانم هـدارة كشلال جزين . وزخرت بمضامين جديدة . وجاء اسلوبها سلس المأخذ . اما اللغة فمشرقة على بقاء .

تأخذ مثلا قصيدة « جبل الآلهـة » فتطالعهـا بشوق بالغ . تتعلـق ، في النهاية ، بمعانيها الى حد الهيام ان كنت وطنيا مخلصا . و « جبل الآلهة » ما هو الا وطن الارز بالذات ، الذي تغنى الشاعر بقراه المغمورة بالكلأ المائج ،

وينابيعه المتدفقة في دوامة من على السفوح الشامخة ، وانهاره التي يحكي بعضها قصص الحب الخالدة على توالي الازمنة ، والذي هتف لانطلاقة الحرف من شطآنه . يقول :

وقرى كالجراح في الكلأ المائع
مغمورة بلون الاماني
وينابيع مرغيّت على السفح
ومنهوكة على الشطآن
لذة السمع والعيان وجو
عبقري لريشة الفنان
فوق اكتافه « مشالح » تأريخ
ومن جيده عقود بيان
مسحته الوهة الارض بالحسن
ولفتـه بالهوى السكران
صبغت نهره دماء ادونيس
فتذكارها من الارجوان
عبقت شيحه بنفحة افروديت
مسفوحـة على الغدران

وفي ختام قصيدته يهتف لبلده مرتع الزهى وموطـن الجمال في هذا الشرق :

بلدي مرتع الزهى ومراعي
الحب غابي ـ وعرفه بستاني
أيكون الجمال في غير لبنان
شقيق الجمـال
فـي
لبنـــان ؟

وفي قصيدة وجدانية عنونها « لو » يوجه كلامه الـى واحدة كان يطيب له ان يهف اليها وجدا .. ان يدنو ثغره من شفتيها . كان يصبو بلهفة الى لقياها ، فينعما سوية بهوى طالما تاقت اليه نفس بشرية :

فلـو تكونين مثلـي
مشيئـة واعتقادا
وغيبـة ومعـادا
امـا تكونـين ؟
كـونـي !
حتى نغيب كلانـا
على ضباب هوانـا
كـونـي
كما يشاء هوانـا !

اما « فوق الضباب » فانه يختلف عن سابقيه . انـه قصيدة في تسعة اناشيد . كل نشيد مؤلف من عشـر رباعيات . وتتميز جميع الاناشيد بالفكر الجديد ، بالفكر الفتح . وهي عبارة عن جولة في الحياة تتسم بطابع فلسفي اخاذ ، وبشمولية ثقافية . وكانت من العوامل الطليعيـة التي اعدت للشاعر مكانة قوية في دولة المنظوم .

اللغة التي بها جبلت الاناشيد كانـت متينة السبك ، وسريعة التناول . والاسلوب الذي ماشاها هيمنت عليه جاذبيـة .

واسمعه يهاجم في رباعية «المجرمون» المأخوذة من نفس نشيد « الظلّمة البيضاء » ، عن ابتعاد النّاس عنه وتنكرهم له بعدما قسى الدهر عليه :

هجرتني مباخر النـاس لمـا نـام فالي وفارق الزهر حقلي
فكـاني امسيت في النـاس غيري وتجرعـت غربتـي بين اهلـي
انـا ما خفـت مـن تبـدل نفسي فهي نفسي في الصبح او في المغيب
عجبـي ان تكـون للـدهـر عـين ذاتِ علم وغيرهـا ذات جهـل

واسمعه يهاجم رباعية « المجرمون » المأخوذة من نفس النشيد ، واحدا من اصحاب الثروات كان الشاعر يتفانى في خدمته ، ثم يعمل في بنيان حياة له ترتكز على هنـاءة وطمأنينة بال . وبدلا من ان يحقق ما تصبو اليه نفسه ، واجهته نكسة اصابته في الصميم ، ذلك ان الثري عمد الى تطويق بنائه وهدمه ، وقد اراد له ان يموت فقيرا . كمـا انه هاجم في الرباعية ذاتها احد الاقوياء الذي رفـض ان يكون للشاعر عمر قائم على قوة :

وخدمت الغني ابذل عيني في رضاه ومرقمي ويـديا
فاحـب الغنـي ان اطوي العمـر فقيـراً ليستمر غنيـا
وخدمت القوي اعطيـه من ضعفي عزما وبسمة من قطوبي
فاحب القـوي ان اطـوي العمر ضعيفـا ليستمر قويـا

وهذه رباعية « الوهة البدء » ، من نشيد «بين الفصول»، يشير في ختامها الى ان الامومة والابوة هما الوهة الارض منذ بدء الخليقة :

وزعـي من ثميلـة الكوب في دنيـاك اكـواب صبوة وفتـوه
وتفني بالامس واسقـي الامانـي حياة واطعمي الضعف قـوه
واحبي فالحب في الارض كرم وخمور فـي السمـاء حميا
افكـانت الوهـة الارض عنـد البدء الا امومـة وابـوه

وفي رباعية « جذور الارض » ، من نشيد « سريـر الختام » النشيد التاسع والاخير من « فوق الضباب » ، نقع على لوحة فنية رائعة لانطفاء شعلة الحياة في الانسان :

دندنـت قبـة الكنيسـة بالحزن فميـت وراءه احيـاء
جـزرت موجـة الحيـاة وفي خرطومهـا دمعة بكتها السماء
ايها الراقدون انتم جذور الارض تغدو وجودها السرمديا
وسرير الختـام درب اليـه وذنب الصبـاح هـذا المساء

ان كتاب « فوق الضباب » لهو بحـق عمارة شعريـة كبيرة ، اذ فيه خصبت شاعرية ابن بسكنتا وفاضت . وقد قال ميخائيل نعيمة في مقدمته له :

« فلا ضيق في النفس ، ولا اسفاف بعـد تحليق ، ولا انكماش بعد انطلاق . بل هنـاك اوزان تكر كر الجـدول الصافي ، ومعان يأخذ بعضها بعناق بعض ، والوان تنسجم انسجام الزهر في المرجة الخضراء ، وقواف تنزل ـ في الغالب ـ نزول الفلق في القنطرة » .

وقصارى القول ، ان عبد الله غانم شاعر فيلسوف . حفل انتاجه بمواضيع جديدة ، شديدة الطرافة ، وصعبة التأدية في احيان عديدة . ولهذا الانتـاج جـذور في الكلاسيكية الحديثة على تنويع في الاشكـال والانغام . وسوف يبقى في اشراقته ما ظل شعاع دولة المنظوم فـي سطـوع .

ابراهيم عبده الخوري



خطوات في الغربة

مجموعة شعرية ـ بلند الحيدري ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ مطابع الخال اخوان بيروت

الشعر في الشكل ، رصف يؤدي الى عمارة ، ولكنه ان لم يعبر عن حالة يجيء شلوا يقتصر وجوده على المرور من مهد الى لحد .

الاشياء قلبت مرات ، وجدت بوجوه ، ثم انطوت ، والقول فصل . الفكرة عمل . بيد أن الذي يتخطى من ذلك معبر الفناء ، أي الزمان ، قليل . لماذا ؟ لان معه جواز سفر ، جواز السفر هذا لهب الذات ، فسمه ـ اذا شئت ـ موهبة ، شهودا ، تجاوزا كل واقع الى عالم اخر هو أكمل وأجمل .

الحالة تطلب الشكل ، الظهور من رحم الذات الى الوجود ، شأن أية رغبة ، أي جبل ، ثقل الارض المحمومة تقذفه ، فيتبرد ، ويشكل وجوه الارض . الحالة مراحل ، ودرجات . التعبير عنها مراحل ودرجات .

من هنا قال النقاد : الموهبة منوط وجودها بالتجربة . من هنا نتعرف الى الموهبة من حيث أنها تراث ، أي تجربة سابقة ، والى التجربة في أنها معاناة ، اصطدام بالوجود ، فهي لذلك ثقافة ، ومن الثقافة نظرة الى الوجود تشرف ، تتأمل ، تستطيل بالاحلام الواعية ، وهذه وحدها تمد جسرا بين الواقع المتهم بالعناء ، بالاثم ، بالحرمان ، بالملل ، بالغثاء ، بالتمزق ، وبين المصير الذي ليس موتا ، أو عدما ، بل كمال جليل ، وصفاء جميل . أما المصير الكوني فهو الرصد الراعب الذي يهول بغول الموت في وجه كل حياة . الفن ، الفلسفة ، الصوفية ، الدين ، وسائل اربع لتبرير الموت ، لاعلان أن الحياة تستحق ان تعاش ، وان الصمت أعمق كلام ، اذ هو رحلة في أعماق الذات ، لتقف النفس على حدود تخومها ، فتعبر الى عالم أوسع وأرحب ، لم نجد له اسما الا أنه عالم المطلق .

كل شعر رصف ، ليس شعرا . كل حالة لا تَجِدّ الشكل تموت على المدخل ، لهذا رأينا ان عناق الاطار والصورة التزام للولادة ، لتجسد الابداع ، ولهذا أصبح فرض حق ان يدرك الشاعر مقدار الكلمة من حيث هي وسيلته الى الحالة .

الكلمة حروف ... الحروف اصوات ... الاصوات حوادث قديمة ، ولتكن حكايات موجزة ، ولتكن الاصوات رمزا لها .

الكلمة اذن عالم تام ، كائن حي مستقل ، مربوط بعوالم اخرى ، لها دلالتها في ذاتها ، ولها في التركيب دلالتان ، كالارض تدور حول ذاتها ، وحول الشمس ، وللشمس عالم اخر يدور ، وكل في فلك يسبحون .

دراسة الشاعر في كتاب الكلمة التي هي الوجود ، الفكر ، الخلق ، تحمله على تصنيفها الى فئات ، كالاحجار المقصوبة ، كالالوان ، كالحركات والانغام . بعض الاحجار يصلح للزاوية ، للقنطرة ، للعمود ، للاساس للسطح . بعض الحركات يجيء زاخما ، مهينا ، ذاهلا ، ضاحكا ، بائسا ، واللون منه الحار ، البارد ، القاتم ، الباسم ، القاحل ، المورق . النغمة ، كلمة ، لون ، حركة ، انها ابرع ما يدخل دون جواز الى أعماق الذات ليفضح كل سر خزنته السرائر .

في الادب كلمة شعرية ، وكلمة شحفة لا توحي . في الشعر انمياز على سائر الفنون لانه يختصرها ، وهي لا تستطيع أن تؤدي مهمته.

*

«بلند الحيدري» شاعر يشهد عصره ، يحضر زحفه بشتى وسائل الفنان المتأهب ، معه الشاعرية ، موهبة وتجربة ، وهو لاحالة كينونته خبير بما للكلمة من قدرة ، وقدر ، لذلك يمد يده الى معجمها الذي في ذهنه ، يده التي تحركها الحالة ، فيرصفها بوعي ، فاذا بها تحضر غير متخلية عن الفكرة ، والعاطفة ، والخيال ، والموسيقى ، وهي عناصر الشاعرية الحقة ، واذا به يوفر لنا الصورة ، والنغمة ، والمنحوتة ، وحركة تملأ المدى .

« بلند » في « خطوات الغربة » شاعر ، وقليل هم الشعراء عند مختلف الشعوب ، بيد أن الشاعر الحق هو شاعر يتخطى الشعوب ، والعصور ، الى كل شعب وعصر ، وبلند شاعر يتسلسل الديوان في رحلة ، تسلسل خطوات الغريب ، ليتنقل في مدارج ثلاثة : ما بين ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧ ، ما بين ١٩٤٧ ـ ١٩٥٧ ، ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٤ .

تنقلا ينفي به اسطورتي الالتزام ، والفن للفن ، ليقيم حضوره لا في عصره ، بل في وجوده ماردا ، تمر العصور على سفحه ، فيرى دخان « روما » النيروني ، وعناء « سيزيف » الوجودي ، الى بلاهيات «زوربا» الاغريقي وعدميات المعري، وشوبنهور ، ازاء النزق النيتشوي ، والتفحم المتنبوي ، على مسحة من عهر بودلير ، وحنان طفلي من أنسام الناصره مثلما هو على سطوح نفسه ، يجري في زورق الشعاع، والنسيم ، فوق الخضرة ، والنضرة ، كذلك هو في زاوية البيت ، يذيب الثلج، يمرع الدفء ، صنو ما يعبث على الشاطيء بالاصداف ، يهتز لنداء الاعماق ، فيوغل ليلا في بنات الف ليلة وليلة ، ليتصفح أشرعة سندباد عند اي عباب ، ثم يصفو ، أو يرسي ليقبع في مهجور كلواذي ، وذات الاكيراح ، وطيرناباذ ، نؤاسي خابية هشت له بتذكار بغدادي الاطياف ، لا يزال يستر عري المساحب ، مساحب من جر الزقاق على الثرى ...

الكتاب الرحلة ، يقع في مايتي صفحة ، مهر غلافه برسوم تجريدية ، مد بين صفحاته خطواته المغتربة ، بنسق انيق ، مفصح ، حركي . يدور حول الهواجس ، الاحلام ، يرتمض عند الواقع المتهم ، ينطلق في اجواء الكون بانسان شهد عصره ، ووجوده ، جرحته السياسة في اليد ، والخطوة ، والقلب ، والعين ، ورفعته المرآة الى افق النوع ، مثلما لوثته في مخدع العهر ، طابت له الحياة فرضي لمحآت ، قست عليه فسخط ، وسخر ، ثم جلجل وحطم .

كلماته العوالم ثلاث : الصمت ، الدرب ، الغربة .

الصمت : يقول فيه ما لا يقال . انه حديث بلند ساعة يخلو الى ... او تنزرع الخيبة بين عينيه ، وفي مجرى دمه ، ساعة يمد له المجتمع تفاهات العبودية ، ميوعات الشخصية ، اهتراء الاصطلاح . عندما تحبك السياسة أحابيل الشعوذة ، المؤامرة ، المرابحة . فترة تتدحرج القيم جمجمة منخوبة ، وقوالب مسكوبة ، خطفة ما تبدو له الحياة سرابا ، يبابا ، دخانا ضبابا ، فيصطدم بالقدر ، صمت ، صمت ، صمت .

« للكلام قيمة الذهب ، للصمت ما هو أغلى وأحب ، ساعة يشتعل القلب بالبغض أو الحب . »

الكلمات « لالبيرسامان » وفي اجوائها تذكار صمت الحيدري . صمت « بلند » قمقم يغلي فيه مارد سليماني .

الدرب : بغداد ، العصر ، الانسان عند كل قدر !

الغربة : هذه الحياة في معلومها ، ومجهولها . هذه النفس لمحة يتأزم فيها الشعور بتبعة الوجود ، برعب العدم . غربة لمسنا خطواتها عند

الاغارقة في نكران « جورجياس » في عبث « ارستيب » في معاودة « بروميثيه » وتصورناها في دنان الحسن بن هانىء ، واجفالة علي بن العباس ، والحسم المعربد عند « الخيام » كما شهدناها في عدمية « كفكا » وعصبية « كامو » وكما نستعرض مسرحياتها في وجه كل نهار أو ليل .

المرحلة الاولى : يقابلنا « مدفن الظل » بمسحة من الرمز ، بظل من السموواقعية ، بنبض من الرومنطية ، ولكن الاثر الغالب في القصيدة يدرج في شعاب الواقع ، وكلاسيكية العمود السئم . يغوص في ظلاله فترة ، ثم يرده الهاجس الى سطوح الرؤية فيبدو تعبا من الحر، والنعاس، والجهد ، ثم يصفق بجناحيه وراء رؤيا هاربة . في القصيدة ذروات ، ساعة يبث نبضه في الاشياء فترتمض حيوية . وفيها فتور يلتفت بنا الى رصفية القدامى ، وهو في آلوجهين يدور في دربه ، وصمته ، وطينه.

عالما شامخ الذرى ،

يتأبى .

أن يرى نفسه حكاية طينه .

يكاد هذا التعبير يشرح الاجواء التي انسحبت فيها اجنحة القصيدة ، « تسمرت في سكينة نفسي » و « أتنزى حيثما شئت ضحكة ملعونة »

معظم قصائد هذه المرحلة ، ترينا امكانية الحيدري في عرام زاخم يغلي ضمن ذاته ، ثم تحط به فترين على صوره رمادية فاترة ، رتيبة ، وقد ينتفض في بعض الخواتم ماردا يلم ريشه الذي توزع في ميدان المعركة ، أو مخاض الحالة ، ثم يلحق برياحه . اذ يختطفك جناحاه في :

ومات ما كان ، سوى خطوة   لما تزل تبحث عن مهرب

من « الطاحونة » « وحول الابد الاسود » الذي يذكر بالشاعر اللبناني المرحوم « أديب مظهر » « وشنج النار » من « سميراميس » « والبهو حفنة من ذهول » في عروق السكينة الملساء يهبط بك عند تتابع واوات العطف ، الى فقرات لا يستقيم معها أود الحالة من طراز : « دودة الطين في الدم المأسور » « ايقظ الموت في ذرى آشور » تزرع الحس في الفراش الغدور » فتحسن ان الشاعر لما يستطع ان يتخلص من رواسب القافية والعمودية ، وبرودة المناخ ، على أنه جاء فتيا في المطلع والختام ، كشهقة انتظار لموافاة موعد ، أو رعشة وصال غب استيفاء متعة .

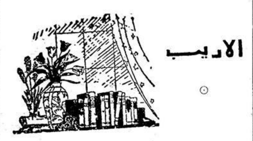
اما « لن ارآها » فليت انها لم تندمج في سياق الديوان !

عندما يدرك « بلند » ان الفلسفة ، والصوفية ، لا تقصدان لذاتهما في الشعر يتحدر بانطلاق الجدول ، وينساب رف اجنحة السنونو ، وساعة يداور ليزرع اشياءهما يبدو العجز ، ويطفر السأم ، في مثل « همس الطريق » » ويا طفلتي » « في الارض » ولكن ذلك الدرب الهامس ان فوت علينا المتعة ، ففي « الباب المهجور » شحنات نابضة بالحياة والفن ، مجدولة الرونق بألياف الذكرى ، تواكبها « الى اين » .

سوى آن قصيدة « الكوخ الوردي » تبقى سامقة تدلُ على أخواتها بالظل ، واللون ، والثمر . فيها سياق معزوفة من نشوة الالهة ، وسقسقة من جداول تستلين على مروج الفردوس . واحساس بالاشياء تافهها ، وعظيمها ، يرفع الشاعر الى رتبة المريد في شعر العرب .

وصل « شلي » الى قمة الابداع في « القبرة » وابن الرومي الى ذروة التنفس في وجوه الاشياء المبعثرة في حديثه عن « الشكير » وهو العشب ينمو على جنبات الطريق ، وسما « بلند » بالحديث عن « الشيئين » سموهما ، فجاء بتعبير مدهش عن التفاهة العظيمة .

المرحلة الثانية : عمر القصائد السابقة من المرحلة الاولى ثلاث سنوات، اما هذه المرحلة فعمر قصائدها عشر . لم يتبدل فيها الموضوع عن : الطريق ، السكوت ، الزمان ، انما تبدلت افاق التجربة الشعرية عند « بلند » فنحن معه ازاء مناخ جديد ، تهب فية نسائم العصر ، وأشعة تنطاق من ظروفه . يقفز شاعرها بها الى مطلع القلة من شعراء العربية المعاصرين ، مسجلا مع رفيقيه البياتي ، والسياب رحمه الله واطال بعمرهما ، التماعات البيارق الرائدة ، القائدة في شعرنا العربي ، فكانوا



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

مع القلة من اللبنانيين باعثي طماح ،وراسمي افاق ومواكبي مشارف العصر.

أنوه بقصائد : « عقم » « اعماق » أدهشي « بساعي البريد » هذا القصر المشمخر الذي لم يترك لطيور الدين والفلسفة ان تحط بالبق من حطها على شرفاته دون أن تخدش للفن حرمة ، أو تثير في بال صفائه نامه . اعجب ب «غدا نعود» حيث يلعب فيها بلند بالزمان لعبة البراثن بالفرخ، فترى وهج أنامله ووثوقها ، وطفولتها ، ساعة لها بالزمان معري ، فكان يشير بأصابع معروفة لا لحم عليها .

بلند يكفن الميت بحرير ، ويضع في كفي « سيزيفه » قفازين من مخمل ، ويفتح على « سد » المسعدي كوى يلعب فيها الهواء ، فتعذوذب له صفحات الماء . من هذا النسق العالي « وحدتي » « صورة » « يا صديقي » « الخطوة الضائعة » . يتهافت ، ويفتر في بعض قصائد هذه المرحلة ، عندما يتراخى عن عقد الخناصر بين المعطى الفكري ، والشحنة الشعرية ، فتنشز قافية ، او يتراتب وزن ، فتجتر نثرية طفيلية غربتها عن جوه .

المرحلة الثالثة : تلك التي يباشر فيها الحيدري ظروف وجوده ، تمتد في مدى سبع سنوات ، فهي أخطر مراحل حياة الشاعر من الوجهة الادبية ، ومعاناة شؤون الوجود . فيها مرت ببغداد شؤون وشجون ، وكان « لبلند » اعتساف قضية ، بعضها مرتبط بالعراق كلها ، وبلاد العرب والشرق الاوسط ، وبعضها منوط بقضية تخص الشاعر ، ومنها ما يلامس مشاكل العصر ، وتطور المبادىء الانسانية ، ومثلها في اطار اشتراكية ، وجودية ، رأسمالية ، شعوبية ، قومية ، شرقية او غربية ، لم يكن بلند خارج الهيكل ، او على هامش الحوادث ، بل اصابه منها نصيب كبير ، فطفا ، وانغمر ، ورضي وسخط ، وهو اليوم وان كان بين أهل باهل وجيران بجيران ، الا انه في شبه غربة ، وعلى شراع وحشة . بلند هنا في حضور الشاهد الذي لم تطرف له عين ، بل هو ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... يقابلك في هذه المحطة « بخبر عتيق عن عشرين الف قتيل » مستخدما اللمسات الخفية ليفصح عن فاجعة عظمى ، تـزرع بقلم « بلند » في النصف الثاني من القرن العشرين كلمات شجرا كأنها رؤوس الشياطين ، أو زعازع هولاكية ، يجفل من هولها الزمان .

من روائع هذه المرحلة « اريد ان » « الى ولدي » « في الاربعين » « الى مدينتي » . في بعض هذه العمارات يستلين سقفه فلا يساوي اساسه ، تقل الخاتمة عن المطلع ، تمتد بعض الفجوات النثرية ، ولكنها لا تكاد تبين ، فالحيدري في هذا القسم اطل على مستوى طموحه ، وعقد عناقا بين مسافتيه ، واقعه وحلمه ، ذلك هو كما اراد ان يكون ، فتلقى صولجان الشاعرية بيد رائد مريد .

اذا كانت السمفونية تنقلك الى عالمها ، منسابا على أمواج وشاحها المطوف ، ثم تعود بك الى عالمك الارضي فلا تفيق من غيبوبة مع طيوف السماء الا بعد فترة ، ولا يضيع من شميمك عطر الفراديس البعيدة ، الا بعد ان يكر ليل ، ويمتد نهار ، وتتلمس ريشك فاذا على كل جناح الف لون فتغتبط بالذكرى ، وتبقى لك زادا مهما تمادى العمر .

اذا كانت هذه خواتم السمفونيات ، فليست الموسيقى بعيدة عن افاق الشعر ، فأعظم الفن هو ما نقلك الى عالمه ، ثم حطك على ترابك ، ولكنك لا تعودمن رحلته الا بعد حلم ، ويقظة، بعد تذكر ثم نسيان ، ثم تذكر أبدا.

وقصيدة بلند الاخيرة التي سمى باسمها الديوان ، والتي هي عصارة روحه ، واصداء أعماقه :

« خطوات في الغربة » تقابل الخفقة الاخيرة من السمفونية ، ساعة يهدل القائد جناح يديه ، ليؤذن بعودة الشراع من رحلته والاهداب من حلمها ، وليفتح للاذان هدير الشاطىء بأمواجه المتسفة .

« خطوات في الغربة » رائعة الديوان ، ومن نوادر الشعر الذي يتخطى العصر ، والبيئة ، والجنس .

ربما وجد المطل على مشارف «بلند» الملاحق خطواته في غربته ، وهنا في تذويب المعطى الصوفي والفلسفي في مجرى انسحاباته الشعرية ، فانخفض جناحه عن « خليل حاوي » ، وربما قصر نفسه عن سلسلة الايماءات الجارحة ، في حلبة صراع قومي ، فلم يجدول من الشفار ، والحراب موجا « كادونيس » أو يرفع مشكلة الان الى محكمة الزمان ، وقد تجده متوقفا عند هندمة الشكل اكثر من البياتي ، او تفتقد في شعره محلية طفحت بها قصائد صاحب « جيكور » .

القضية العربية ، الكردية ، الاشتراكية ، الرجعية ، قضايانا . بلند يحيا في غمرة أتونها ، وهمرة شظاياها ، لها نصيب جانبي من حضوره ، وكان حقها اكثر من نظر شزر . في العراق ريف ، وأزقة الف ليلة وليلة، وتاريخ هارون الرشيد ، تاريخ العالم انذاك في مدينته الاولى كما يقول « بروكلمن » ، مدينة السحابة التي تلتزم بخراج الرشيد ، مدينة السندباد ، وابن عبيد ، والموصلي ، والنؤاسي والنظام . فيها ظمياء ، وليلى المريضة ، عند الرصافة والجسر ، فاين « بروميثية » « بلند » تلك التي تطال السماء ، بالتركز على الارض ؟

في العراق ، ان أمسك « السياب » بزمام ريفه ، يخضل صوره على افاق الناس ، والبياتي بقضايا وطنه ، وانسان عصره يدندن بها مع كل ريح ، فان « بلندنا » سيبقى على جانبيته ، شاعر المخدع ، والجراح ، واللفتات النادرة ، عند جلجلته ، وفي أغوار صمته البعيد ، وحسبه ان تلوى في دربه المتعرج بين السفوح والذرى ، انه يعلن ميلاد طريق « رحب » بعيد .

وحسبي ، ان لم الح على مقاييس « أبي هلال » « وعبد القاهر » انني لمست في هذا المعرض ومضات من « أبي حيان » « والجاحظ » . وان لم اتشبث بمذهبيات « تين » « وسنت بوف » « وبرونتيير » انني ملت الى طلة « جول لمتر » وتفويق « مكليش » وتنسيق « لاسل آبر كرومبي » فبلند يستحق ان نروي عند نتاجه ، وأن نستلهم لتقدير عطائه، فلريشه جناح لم يكل عن مطارحة الغيوم ، والانسحاب على رفرف النجوم.

وهاد ، ذرى ، نسائم أعاصير ، مباهج فواجع . تلك هي الحياة ، ولجناحي الفنان أن يحطا كيف شاء ، ومتى آراد ، وأين اختار ، فلانطلاقه بحار الملهمين وأجواء مراتعهم ، وحدهم لهم أن يكتشفوا المعابر الجديدة ، الى الغاية التي تحتضن الاشياء بين ذراعي المطلق .

علـي شلق

•

أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية

تاليف جورج صيدح ـ طبعة ثالثة ـ ٦١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ (المطبعة ؟)

يلمس الدارس لادب المهاجر ، تواضع الشاعر الاديب الاستاذ جورج صيدح في هذا الكتاب الضخم ، الذي زادت صفحاته على الستمائة ، قطعا كبيرا ، وهو يقدمه الى ادباء العربية والباحثين في اركان الدنيا ، فيقول في معهد الدراسات العربية :

« أتمنى لو كنت الان مستمعا بين المستمعين ، أصغي الى احد كبار المحاضرين الذين ألفوا هذا المنبر ، فأرتوي بأدبه واستنير بعلمه ، فانا ما عدت من المهجر لاعلم بل لاتعلم . ان من غادر وطنه العربي في مطلع الصبا ، وقضى عمره في اوساط أعجمية اللسان ، وفي أعمال لا تمت الى الادب بصلة ، يشعر متى عاد الي داره بالمدى البعيد الذي يفصله عن قافلة الادب الحديث ، وبالحاجة الى مراجعة الكتب المدرسية لاستنباط القواعد والشواهد التي ركدت في ذاكرته على مر الزمن » .

والكتاب ، كما يقول صاحبه ، دراسة واقعية ، يشد من ازرها التاريخ في الاحصاء والتسجيل والاستنتاج والشواهد . وهو تاريخ للهجرة مع بواعثها وتياراتها وخط الادباء منها ، والجو الذي نشأ فيه الادب المهجري، وتعريف لادب المهجر في نشأته ومراحل نموه ، وأثره في الادب العربي

العام ، والآداب العالمية : خصائصه ورسالته ونواحي نشاطه ، وطعون خصومه فيه ، ثم دراسة السير والآثار ، لكل أديب : يقيم في شمال أميركا أو جنوبها ، غير دراسة الادباء المغمورين المتفرقين في مختلف الجمهوريات الامريكية . ثم وضع الشاعر الامانة في مقدمة الاعتبارات في كل ما خطه قلمه في هذا الكتاب .

ولقد قسم الشاعر الاديب : جورج صيدح كتابه هذا الى عدة فصول ، ووقف عند كل فصل يسوق الادلة ، ويورد الشعر ، ويعنى بالاستطراد المستملح ، ويتفرد بالتاريخ الاصيل .

ففي الفصل الاول : تناول الباحث ، هجرة الادباء في التاريخ القديم ، وذكر اول شاعر عربي دعا الى الهجرة ، والدوافع اليها ، ووضع المهاجرين في جل المهاجر : سواء منهم من أفاد او استفاد ، وخسارة البلد المهاجر منه ، وان كانت هذه الهجرة ضرورة لا مهرب منها في ظروف خاصة ، ثم أصبحت مغامرة لا مبرر لها عندما تغيرت الظروف !!

على أن الاستاذ صيدح ، اراد لكتابه الا يكون كتاب ادب وحسب ، فوضع قلمه في عداد المؤرخين ، وتناول القوافل التي بدأت تزحف الى المهاجر ، وحقق رواية الاستاذ فيليب حتي ، ونفى ان تكون رحلة — القس الموصلي : الياس بن حنا الى اميركا ، هي أول هجرة ، بل كان المهاجر الاول هو : انطون البشعلاني اللبناني ، ثم تبعه افراد من سكان سوريا ولبنان بعد الحادثة المعروفة بحادثة سنة الستين .

ثم ذكر مراحل الهجرة وبواعثها وادب المهاجرين ، وأثر هذا الادب وكتبه ومحاوراته والنهضة الادبية الحديثة ، وخصائص الادب المهجري ، ورسالته ، الانسانية والقومية والاجتماعية واللغوية ، ورسالته العربية المحلية ، والتأثر والتأثير ، وسر التفوق ، ومناحي هذا الادب ، وما قيل منه في المناسبات ، والحفلات ، وشواهد ذلك ، ثم اسهام الادب المهجري في الاستجابة ، وتجاوبه مع الادب والحياة ، والعيوب التي اتسم بها ادب المهجر في الحفلات ومآخذ النقاد على هذا الادب ، ثم اورد اراء الادباء : مؤيدين وناقدين ..

وعقد الشاعر فصلا خاصا عن الادباء في الولايات المتحدة الاميركية ، أحصى فيه النابهين من ادباء المهاجر ، ووازن بينهم وبين غيرهم من اولئك الادباء في سائر الجوالي ، وأثر كل منهم في مناحي الادب المهجري، والرابطة التي جمعت بينهم ، وأرخ لكل على حدة ، والدور الذي لعبه في دنيا الاغتراب ، ثم تناول هؤلاء الادباء في البرازيل ، وما خلفوه وراءهم من تركة ، وما تركوا للاجيال من تراث ، غير أولئك النفر ممن حملوا مشعل الادب ، وجابوا الاقطار ، وان كان لم يكتب لهم النجاح الذي كتب لغيرهم في العلم والادب والشهرة وبعد الصيت .

والواقع ان الباحث الاديب صيدح ، لم يفته ، أن يؤرخ لادب المهجر في الارجنتين ، ويذكر الادباء الذين توافدوا على هذه الارض ، والغرض الذي نزحوا من اجله ، ويضرب الامثلة على هذه الهجرة النابضة النافعة ، ويتناول الصحافة العربية في تلك البلاد ، ويعرف بالادباء في المكسيك وفنزويلا والاكوادور وشيلي والجمهوريات الاخرى ، ثم يختتم هذا البحث القيم بالامسية التي قضاها في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، غير المناظرة التي أقيمت في الجامعة الاميركية وكان موضوعها : « أثر المهجر في الشعر العربي » ثم ذلك الثبت الذي سجله الاستاذ صيدح في امانة حول ما دار حول محاضرته من معارضة وتأييد ، وتعليق الاستاذين نظير زيتون ، والياس قنصل ، والاراء التي قيلت في هذا الكتاب .

والذي يستحق الوقوف عنده في هذا السفر الجليل تلك الزوبعة التي قامت حوله ابان صدوره ، واستقدام صاحبه للمحاضرة ، ووقفة الاستاذ عزيز اباظه من جهاد الرجل ومكانته ، والطعن في أدب المهاجر الذي اثبت وجوده ، وأصبح لا يستغنى عنه : شاء الشاعر عزيز اباظه ام لم يشأ ..!!

اذ اعل خير رد على تعصب الشاعر التمثيلي قول ايليا ابو ماضي : « ان اخواننا في مصر الناقمين علينا بلا وزر ، قد بهرهم ان تبنى فئة قليلة من الادباء العرب في العالم الجديد ، دولة رفيعة للضاد ، لم يقم مثلها في التاريخ . ولعل اكثر ما آزعجهم وأقلقهم تهافت الشباب على الطعام الروحي الجديد الهابط عليهم من سماء المهجر ، فراحوا يستحدثون له العيوب ، تنفيرا للارواح العطشى عن هذا المنهل العذب » .

واغنى من هذا الرد قول الشاعر : جورج صيدح نفسه :

يا وارد النيل لا تنزل بساحلــه   ان كنت تخشى زحام المورد العذب
كنانة الجود ان ضاقت فنادقهـا   نزلت من صدر اهليها على الرحب
لا يسألون عن الاحساب ضيفهـم   ما دامت الضاد تنميه الى العرب
ان العروبـة جذع لا تزعزعـه   عوارض الدفع في الاغصان والجذب
تبايـن السحب في لون ومتجـه   يـزول عند احتياج الارض للسحب
يممتكـم وصـدور الريـح واغـرة   اجتاحها ونجوم الظهـر فـي دربي
حتـى وقفـت على أعواد منبركـم   كانـه منبـر أصحابه صحبـي
ولسـت أول صـب غـره قمـر   ومـا درى القمـر الفرار بالصب
ما كنـت اجهل مـن اثاركم أدبـا   يطـوي المهاجر من قطب الى قطب
لكـن من زاركم ادرى بما جمعـت   سمـاء مصر من الاقمـار والشهب
دنيا من العلم والاعـلام مقبلـة   ودولـة من شبا الاقلام والقضـب
نذرت حبـي لاهل الشام قبلكمو   لما عرفتكمو اشركت في الحب ..

ان من يشعر بهذا الشعور الجميل ، ويقرض هذا الشعر الرفيع ، لا يجوز أن نتخاصم واياه على غير قضية ، أو نرميه بما ليس فيه ، ويكفي ان ينشأ آدب عربي في تلك المهاجر الاعجمية ، ويدخل تلك البيئات الاعجمية ، ويكفي هؤلاء النفر فخرا ، ان يرعوا هذا الادب ، ويعملوا على النهوض بـه والوقوف بجانبه ، ويمشوا به في كل مكان . اما أن نقف منه موقف الغيرة ، فهذا ما لا يحمد من آدباء القوة الذين يحاولون الهدم، ولا يهمهم ان تقام لبنة في اي مكان في صرح الادب العربي الذي على مجده يعيشون ، ومن التحلق حول ركبه يبرزون .

يكفي الاستاذ الشاعر جورج صيدح ، ان كتابه تغلغل في كل نفس ، ودخل كل قلب ، وامتزج بعقل كل اديب بما يضم من ادب عال ، ولفظ مصقول وتحقيق امين ، وحبكة فنية لا يعتورها الخلل ، او ينفذ الى مساربها العناكب .. فالواقع الذي لا جدال فيه ، ان الاستاذ صيدح :

« لم يلق الكلام على عواهنه في هذا الكتاب ، ولم يصدر آراءه اعتمادا على ذوقه الخاص ، او على مزاجهالمحدد .

كل شاعر من شعراء المهجر وصفه بانه مبدع، اثبت له ما يؤكد ابداعه.

كل صفـة من صفـات العبقرية عرضها لاديب مهجري ، الحقهـا بالبيان الذي يؤيدها .

بل هو قد غالى في مواضع بالادلة . حتى كدنا ان نرى من خلالها تقديره بالحدس ، ان بعض النفوس لا تنقاد الى الحق ، الا اذا جرعتها كأس الاقناع الى الثمالة .

ان في هذا الادب الذي اتسع له ، ان يطعم جانبا كبيرا من الادب العربي بالروح المصرية ، نورا يؤذي رمد الذين استبهر جهلهم .

هذا ادبنا ـ معروض جانب منه في هذا الكتـاب ، فعودوا اليه ، وطالعوه بامعان ، وانكروا حسناته ان كنتم قادرين .

الا ترون في صفحات الكتاب ، جمال اسلوب ، وبراعة تحليل ، وصدق استنتـاج ؟ » .

والحق ، ان جورج صيدح بكتابه هذا ، قـد أثرى المكتبة العربية ، وجعلها في غنى عن ان تضم كتبا اخرى في الموضوع ذاته ، او البحث عينه ، ولو كره الذين يعيشون عالة على غيرهم بادبهم واسمهم وحياتهم، ويؤذي نفوسهم ان يكون لغيرهم هذا الانتاج الضخم الـذي تتيه به العربية وتفخر .. وحبذا لو كان في العمر بقية ، ويخرج لنا شاعرنا واديبنا : جورج صيدح ، ابحاثا ممتعة ، وتحليلات اكبر لهذا الادب الذي نحن في حاجة الى التزود منه ، ودراسته على الطريقة الصيدحية الواعيـة ...

القاهرة **ابو طالب زيـان**

•

كتـاب الانس

تاليف سمير شيخاني ـ ٦٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار السمير للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع جوزف سليم صيقلي ببيروت

يطيب للمرء وهو يقطع صحراء عمره الطويل ان يرمي عصا الترحال عند واحد يبردعينيه بوضاح رقراقها ويروي ظمأ الضلوع بالبليلمن مائها.وما واحة العمر الا طرائف تلتهب لسماعها العينان ضحكا فننسى ما كان من عناء المسير ومن رتابة الدرب الطويل ومخاوفه ومسؤولياته وفي كتاب الانس طرائف من هذا النوع تبعث في النفس مرحا يصير لنا الدنيا حلـوة باسمـة ..

يفعل رقيق الحسن في النفس ما تفعله النادرة . وفي كتـاب الانس الوان من هذا الجمال ... قصائد تحكي سمات المحاسن واخبار العشاق المتيمين فتروي لنا ما كان من شأن علي بن الجهم غاديا رائحا بين الرصافة والجسر وتحكي ما جرى لعمر بن ابي ربيعة ليلة نعم بوصال نعم في ليلة ذي دوران ...

هذه بهجة الحياة : ابتسامة تثيرها نادرة ولغز يلهو به خلد ولوحة تخط سمات الحسن ، وهذه الالوان الثلاثة ضمنها سمير شيخـاني كتاب الانس .

بين ضفتي هذا الكتاب الف نادرة ونادرة ، قالها رجل مضى عهـده وانقضى ، وآثارها اخر ما زال يعيش بيننا.، صاحب هذه الطرفة قريب نعرفه وصاحب تلك من بلد غريب بعيد ، الا اننا نضحك على قرار كل نادرة دون ان نفرق بين الطرفة التي شط مداها والنادرة التي عاشهـا يومنا ، ولا نشعر بحدود تفرق بين الانسان واخيه ... ونراه يلتقـي معه على بعد المدى عند رجفة حرف ضاحك ، عند بسمة رقراقة تعيد الحيـاة اليه ..

هل تعلم يا صاحبي ان الجاحظ مات منذ الف ومئة سنة ؟ هـل تستطيع ان تتصور هذا الزمان الطويل ذكريات طفولتنـا لا تزيد على العشرين وهي اذا ما بدت للعين تراءت بعيدة سحيقة ، اما ابو عثمان فما زالت نوادره دافئة ضاحكة في كتب الادب والنوادر وما كتاب الانس الا واحد من تلك الكتب التي احيت الماضي وسخرت بالزمان يوم جعلت رفيف الحرف سفيرا يحمل نشوة الاجداد الى مرابع الابناء .

ويلتقي القديم بالحديث في كتاب الانس وتبدو النادرة محورا رائعا يدور ويدور كاراجيح ايام الموالد ، فرسان تلك الاراجيح ابو عثمـان وتشرشل وتليران وابو دلالة وبوب هوب .. اليس رائعا ان تجمع ارجوحة واحدة نماذج من الناس باعد بينهم الزمان وجمعهم هذا المحور السحري الضاحك الذي يدور فتدور معه العيون وتصدح لمانيه الحناجر بالف (فاه وفاه) ، وانا لنشتهي أن تلتقي شعوب الدنيا على مسير واحـد التقاءها ، والنادرة في كتاب الانس لا تقتصر على فئة من الناس فهذا الحبر الاعظم يوحنا الثالث والعشرون صاحب طرفة من الطراز الاول ، فقد طرق سمعه ذات يوم في بعض شوارع روما هذا القول رددته احدى النساء لرفيقتها : رباه ! ما اضخم جثة هذا البابا ! فالتفت اليها خليفة بطرس الرسول قائلا : ولكنك تعرفين يا سيدتي ان مجمع الكرادلة ليس

مباراة للجمال .

ويروي لنا سمير شيخاني من هذه النوادر ما نملأ به السلال يوم نغدو الى مجالس الاخوان نتحفهم بما يبعث في نفوسهم ما طاب من المباهج الحلال .

فالاحبار الاتقياء والسياسيون الكبار والفنانون والادباء كلهم يعيشون النادرة وعلى هذا الحد يلتقي الانسان باخيه ، الصغير بالكبير ، الذين ودعوا بالذين ينتظرون المصير .

وليست الفكاهة اللون الوحيد في كتاب الانس ، ان فيه لالغازا يلهو بها الخاطر ، الغازا شغلت اجدادنا يوم نظموا فيها مئات الاشعار ، فهذا شاعر من الشعراء في مجلس من مجالس الانس يتيه بلغز نظمه ويسأل الاخوان عن المعنى الخفي الذي استتر وراء هذه الحروف :

اخرس ينبيك باطراقة — عن كل ما شئت من الامر
يذري على قرطاسه دمعة — يبدي بها السر وما يدري
يرى اسيرا في دواة وقد — اطلق اقواما من الاسر
اخرق لو لم نبره لم يكن — يرشق اقواما ولم يبر
كالبحر اذ يجري وكالليل اذ — يغشى وكالصارم اذ يفري

واني لاتخيل القراء وهم يبحثون عن هذا الاخرس الناطق عن : هذا الاسير يطلق الانام من اسرهم وهو في سجن الدواة ... عن البحر الذي يجري .. عن الليل الذي يغشى .

ويطيب للمرء الذي يضحك ويلهو ان يعلم سر غده ، في كتاب الانس من اسرار الغيب الشيء الكثير ، تنبينا به بروج السماء ! هذا الفتى من برج الحمل فليستمع الى مصيره الذي سطره النجم ونقله العراف ، وعلى صاحب البرج ان يصدق او لا يصدق ومصيره على اي حال نافذة يقوده اليها المنجمون يطلون منها على الافق المجهول ليرضى صاحب البرج بوهم الحقيقة بعد ان عجز عن معرفة كنه الغيب .

جميلة هي الحياة يوم تكون طلة باسمة على الافق المجهول يقودنا اليه المنجمون وجميلة هي الحياة يوم تملي العين آثار المحاسن وفي كتاب الانس صور للجمال وقصص للمغامرات في قصائد شهيرة حلوة قالها عمر يوم عاش تجربة ليلة ذي دوران مع محبوبته الحلوة (نعم) وقالها ابن زيدون يوم قارن بين الامس واليوم وراح يقول :

اضحى التنائي بديلا من تدانينا — وناب عن طيب لقيانا تجافينا

يطيب للقلب ان يسرح في مدى هذه المشاعر ليرى عمر وابن زيدون وابن زريق وابن الجهم ، الاول يحكي لنا نعيم الوصال الحق والاخير يروي لنا ما كان من ذلك الغدو والرواح بين الرصافة والجسر ليذكرنا بغدو الفتيان ورواحهم عند المساء في وقتنا الحاضر بين بوابة الصالحية وجسر فكتوريا في دمشق .

وهم يرشفون بالرمش ما عجزت عنه الانامل ويرددون مقاطع حرى لشاعر عاش تجربة التصابي منذ اكثر من الف سنة :

عيون المها بين الرصافة والجسر — جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وهذا ابو الحسن الحصري الضرير يناجي الليل الطويل ويقول :

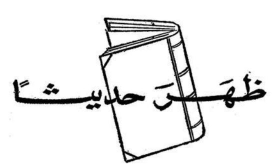
يا ليل الصب متى غده — اقيام الساعة موعده

واني لأرى على صفحات كتاب الانس لسان الدين بن الخطيب وهو يمد يد الرجاء الى الساقي يستجديه .. اسقني يا حامل الكأس بشراب فقد جفت الشفاه من لثم تلك الخدود .

حياة هو كتاب الانس يوم تكون طرفة تلهم الناظرين ، ولغزا يسرح على شطه الوجدان ، وحسبنا تتملى العين معناه ، فترضى .

دمشق — **سيمون حمصي**

مدرس الادب العربي في المدارس الثانوية



● خطوات في الغربة ـ مجموعة شعرية ـ بلند الحيدري ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ مطابع النخال اخوان ببيروت .

● واحدة تكفي ـ مجموعة قصص ـ مصطفى ابو النصر ـ ١١٢ صفحة ـ المؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ دار الثقافة العربية للطباعة (؟) .

● فارس الخوري وايام لا تنسى ـ تاليف محمد الفرحاني ـ تقديم حسن الحكيم رئيس الحكومة السورية الاسبق ـ ٥٢٨ صفحة ـ مصور ـ حجم كبير ـ مطابع دار الغد ببيروت .

● لكل حب قصة ـ مجموعة شعرية ـ شوقي بغدادي ـ لوحة الغلاف بريشة فاتح المدرس ـ الخطوط لمحمد قنوع ـ ١٧٦ صفحة ـ مطبعة الاعتدال بدمشق .

● مذهب الدروز والتوحيد ـ تاليف عبد الله النجار سفير لبنان ، مدير معارف جبل الدروز سابقا ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● الفروسية في الشعر الشعبي السوداني ـ تاليف سليمان خالد عبد المحمود ـ ١٠٤ صفحة ـ مصور ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في البدء كان الصمت ـ قصيدة سمفونية ذات ثلاث حركات ـ علي الجندي ـ ٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت ـ مطبعة النجوى ببيروت .

● ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي ١٢٩٠/١٢٣٣ ـ عني بجمعه وشرحه وترجمة اعلامه وسرد الحوادث التاريخية المذكورة فيه محمد علي اليعقوبي عميد جمعية الرابطة الادبية في النجف الاشرف ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة النجف بالنجف الاشرف .

● محاضرات حاملي جائزة نوبل في الطب ، في المؤتمر المنعقد في ليندا و عام ١٩٦٣ ـ ترجمها عن الالمانية مع تاريخ حياة المحاضرين والتعليقات الدكتور محمد يحيى الهاشمي رئيس جمعية الابحاث العلمية في حلب ـ ٨٠ صفحة ـ طبع في حلب (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الارمن يتذكرون ١٩١٥ الذكرى الخمسون للمجزرة ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتب المعلومات الارمني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● النار والكلمات ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ تقديم ناظم حكمت ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جمهورية افلاطون ـ نقلها الى العربية حنا خباز ـ تقديم فؤاد صروف ـ ٤٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ـ تاليف امين سعيد ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ مطابع دار الغد (؟)